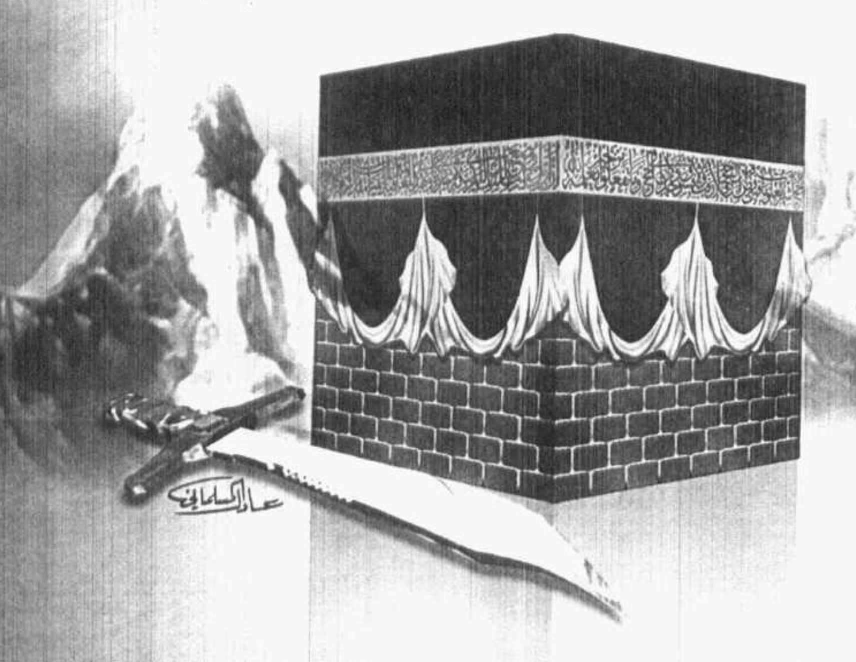
بطولات النبي

صلى الله عليه وسلم

عبد المنعم الهاشمي



دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية



سلسلة

بطولات النبي ﷺ

ذو الفقار

سيف الرسول ﷺ البطار

عبد المنعم الهاشمي



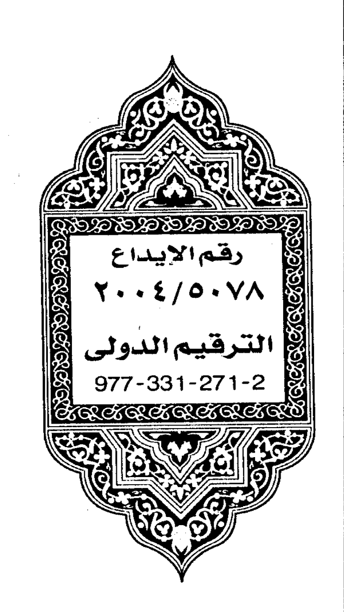


سلسلة

بطولات النبي ﷺ

ذو الفقار

سيف الرسول ﷺ البطار



دار الإيمان ١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
للطبع والنشر والتوزيع تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار القمة

ذو الفقــار

سيف الرســول ﷺ البتـار

ذو الفـقار سـيف بتَّار، ذو الـفقـار سيف الرســول ﷺ ذو الفقــار سيف شجــاع، من شجــاعة صاحــبه رسول الله ﷺ .

كانت لذي الفــقار مشــاهد عظيمة، منهــا هذا اليوم، يوم ذات الرقــاع، ولكن أشــهـر يوم له كــان يوم أُحــد. فلنسمع أشــهر موقف لذي الفقار قــبل أن يحدثنا هو عن يوم ذات الرقاع أو غزوة ذات الرقاع،

يقول ذو الفقار سيف الرسول البتَّار:

خرجت قريس بجمعها وجموعها، وسادتها وعبيدها إلى لقاء محمد بن عبد الله في أُحد، فقد كانت الأحقاد تملأ صدورها شحنًا، والثارات لقتلاها في بدر تستعر في دمائها استعارًا.

ولم يكفها ذلك، وإنما أخرجت معها العقايل من نساء قريش، ليحرضنَ الرجال على القتال، ويُضْرِمن الحميَّة في نفوس الأبطال، ويشددن عزائمهم كلما ضعفوا أو وهنوا.

وكانت في جملة من خرجت معهنَّ هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، وريطة بنتُ مَنَبِّه زوج عمرو بن العاص، وسلامة بنت سعد ومعها زوجها طلحة وأولادها الثلاثة.

وقد عبأت قريش ثلاثة آلاف رجل، معهم مائتا فرس، وجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل.

والتقى الجيشان، ودنا بعضهم من بعض، فقامت هند بنت عتبة في النسوة اللائي معها، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال يُحَرِّضْنَهُم.

فقالت هند:

وَيَهًا بني عبد الدار ▫▪▫ وَيَهًا حُمَاة الأدْيَار

ضربًا بكلِّ بتَّار

إن تقبلوا نُعَانِق ▫▪▫ ونفرش النمارق

أو تدبروا نُفارق ▫▪▫ فِراق غير وامق

في هذه اللحظة جاء دوري، شعرت بيد الرسول ﷺ الحانية وقد أمسكت بي بقوة، طوحني في الهواء

وقال: «**من يأخذ هذا بحقِّه؟**»، فوجدت رجالاً من أبطال المسلمين كلٌ يريد أن يحظى بشرف أخذي لكي أقتل لهم الكفار.

ولكن الرسول ﷺ أمسكني عنهم حتى قام البطل أبو دجانة الأنصاري «سَمَّاك بن خرشة».

فقال: وما حقهُ يا رسول الله؟

قال ﷺ : «**أن تضرب به العدو حتى ينحني**».

قال أبو دجانة: أنا آخذه بحقه.

وعندها وجدت نفسي أطير في الهواء ليمسكني أبو دجانة بطريقة رائعة، ويلوح بي في الهواء وأنا سعيد أن أمسكني بطل يحب صاحبي رسول الله ﷺ .

وفجأة وجدت أبا دجانة يخرِجُ عصابته الحمراء فعصب بها رأسه وأمسك بي وطوحني في الهواء وهو ينشد في عز وفخر:

إنّي امرءٌ عاهَدَني خَليلي

ألاّ أقوم الدّهر في الكيولِ[1]

أضرب بسيف اللهِ والرسول

ضربَ غلام ماجد بهلول[2]

ثم جعل يَتَبَخْتَر بين الصفوف، ويهتز في فخر يمينًا وشمالاً.

فقال رسول الله حين رآه: «**إنَّها لمِشْيَةٌ يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن**».

---

(١) **الكيول**: مؤخر الصفوف.

(٢) **البهلول**: السيد الجامع لكل خير.

وجعل أبو دجـانة لا يلقى أحدًا إلاّ قتله، وأنا أشـعر بالفـخر لأن يده توجـهني نحـو أعناق الكفار والمشـركين فأجزُّها جزًا.

وظل أبو دجانة يضـرب بي الكفار يمينًا ويســارًا حتى انتهى إلى نسوة من سفح جبل، ومعهن دفوف لهن.

وبينهن هند بنت عتبة تقول:

نـحــن بـنـــات طــــارق

إن تـدبـروا نـفــــــارق

فـرفعني أبو دجـانة، فانزعـجت أشدَّ الانزعـاج، ذو الفـقار سيف رسـول الله البتـار، يضرب امـرأة، ولكني وجدت يـد أبا دجانة تمنعني عنهـا مرة أخـرى، ويكرمني وأنا سيف رسول الله عن أن أضرب امرأة.

ومضى أبو دجانة يضرب الكفر وأعناقَه يمينًا ويسارًا حتى انتهت معركة أُحد، وكان هذا هو أشهر موقف لي أنا ذو الفقار سيف الرسول البتار.

ومضت سنوات كنت فيها مع رسول الله إلى أن جاء يوم غزوة ذات الرقاع.

فقد سمع النبي ﷺ باجتماع بني أنمار وبني ثعلبة وبني محارب من غطفان، فأسرع بالخروج إليهم في أربعمائة أو سبعمائة من أصحابه، واستعمل على المدينة رجلاً من أصحابه[1].

فسار وتوغل في بلادهم حتى وصل إلى مكان يقال له: نخل، على بعد يومين من المدينة، ولقي جمعًا من

(١) قيل: أبو ذر، وقيل: عثمان بن عفان.

غطفان، فتقاربوا وأخاف بعضهم بعضًا ولم يكن بينهم قتال، إلاَّ أنَّه صلَّى بهم يومئذ صلاة الخوف.

وأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا وصلى بالطائفة الأُخرى ركعتين، وكان للنبي ﷺ أربعًا، وللقوم ركعتين[1].

وخرج الرسول ﷺ يوم ذات الرقاع ومعه ستة أفراد من أصحابه بينهم أبو موسى الأشعري، فأصيبت أقدامهم من كثرة المشي، حتى سقطت أظفارهم فكانوا يلفون على أرجلهم المصابة المتورمة الخرق، فسميت هذه الغزوة ذات الرقاع، لما كان المسلمون يعصبون الخرق على أرجلهم[2].

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ٤٠٧-٤٠٨)، (٢/ ٥٩٣).

(٢) «صحيح البخاري»: باب غزوة ذات الرقاع (٢/ ٥٩٢)، ومسلم (٢/ ١١٨).

وسوف أحكي لكم ما حدث لي مع رسول الله ﷺ على لسان صاحب الرسول ﷺ جابر، فلندع جابر رضي الله عنه يقص قصتي.

يقول جابر: كنا مع النبي ﷺ بذات الرقاع، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فنزل رسول الله ﷺ فتفرق الناس، يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت شجرة فعلق فيها سيفه «ذو الفقار».

قال جابر: فنمنا نومة، فجاء رجل من المشركين، فأخذ سيف رسول الله ﷺ.

فقال: أتخافني؟

قال ﷺ: «لا».

قال الرجل المشرك: فمن يمنعك منِّي؟

قال: «**اللهُ**».

قال جابر، فإذا رسول الله ﷺ يدعوننا فجئنا، فإذا عنده أعرابي جالس.

فقال رسول الله ﷺ: «**إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله، فها هو جالس**»، ثم لم يعاتبه رسول الله ﷺ.

ودعوني أضيف إلى حديث جابر صاحب الرسول ﷺ:

أنني سقطت من يد المشرك، فأخذني رسول الله ﷺ.

فقال للرجل الكافر: «**من يمنعك منِّي؟**».

فقال الكافر المشرك: كُنْ خير آخذ (طلب العفو من رسول الله ﷺ).

فقال ﷺ: «**تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟**».

قال الأعرابي: أعاهدك على ألا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك.

قال: فخلى سبيله.

فجاء إلى قومه، فقال: الرجل: «جئتكم من عند خير الناس».

وعاد المسلمون من هذه الغزوة من غير قتال، وعرفتكم بنفسي فأنا ذو الفقار سيف الرسول البتار.

نشاطات تعليمية

١ ـ من هو ذو الفقار؟

----

٢ ـ من هو الصحابي الذي أخذه بحقه يوم أُحد؟

----

٣ ـ ماذا فعل الصحابي بعدما أخذ السيف؟

----

٤ ـ ماذا قال الرسول ﷺ عندما رأى أبا دجانة يمشي متبختراً؟

----

٨ ـ ارسم سيفاً في هذا المربع:

٥. ما الذي فعله المشرك عندما سقط ذو الفقار من يد الرسول ﷺ ؟

....

....

٦. هل عفا الرسول ﷺ عن هذا الرجل؟

....

....

٧. ما الذي قاله الرجل لقومه عندما عاد إليهم؟

....

....

سلسلة

بطولات النبي ﷺ

المستهزئون

عبد المنعم الهاشمي

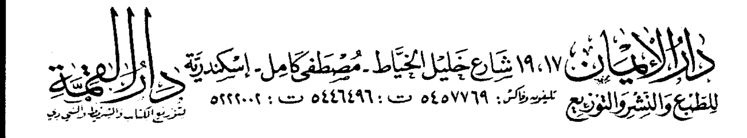




سلسلة بطولات النبي ﷺ







المستهزئون

قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (سورة الحجر: ٩٥-٩٧).

المستهزئون هم الذين كانوا يستهزئون برسول الله ﷺ ويسخرون، وهم كفار قريش، فأهلكهم الله كلهم يوم بدر.

والمستهزئون رجال من كفار مكة، استهزئوا بدين محمد ﷺ، اعترضوا دعوته بالسخرية والاستهزاء حتى ضاق صدره بهم، المستهزئون هم الوليد بن المغيرة، والأسود

ابن عبد يغوث الزهري، والأسود بن عبد المطلب بن أسد أبو زمعة والعاص بن وائل، والحارث بن الطَّلاطلة.

وقد تعرض الرسول ﷺ للإيذاء من غير هؤلاء، فقد أقبل رجل من الكفار يدعى عقبة بن أبي معيط، وكان كافرًا شديد الكفر، أقبل والنبي ﷺ يصلي عند الكعبة، فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا.

فأقبل أبو بكر فأخذ بذراعيه ودفعه بعيدًا عن رسول الله ﷺ ثم قال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»[1].

وممن شارك في إيذاء النبي ﷺ غير هؤلاء الخمسة الذين ذكرت أسماءهم (أبو جهل)، كان أبو جهل من أشد

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٣٩، ٢٤٠)، كتاب: بدء الوحي.

المعارضين للنبي ﷺ وللإسلام، ومما يذكر من إيذائه للنبي ﷺ أن الكفار ذبحوا غنمًا وإبلاً، فقال أبو جهل من يلقي نقايا هذه الذبائح من أمعاء وسلا على محمد وهو يصلي، فجاء عقبة بن أبي معيط أيضًا وحمل هذه القاذورات وقذفها على ظهره وهو ساجد في الكعبة.

فهرولت فاطمة بنت محمد ﷺ وأخذت القاذورات من على ظهر أبيها، ودعت على من صنع ذلك والكفار يضحكون.

فلما قضى الرسول ﷺ صلاته رفع يديه ودعا عليهم قائلاً: «**اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بالملأ من قريش، اللهم عليك بأبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف**»، وهؤلاء كانوا يضحكون ويستهزئون ويسخرون.

وقد استجاب الله - عزَّ وجلَّ - لدعاء رسوله الكريم، فقد قتلوا جميعًا في غزوة بدر على أيدي أبطال المسلمين، قتل أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف.

ولم يهدأ أبو جهل قبل أن يقتل على أيدي أبطال المسلمين، ففي الهجرة، وعندما علم رجال قريش بهجرة المسلمين إلى المدينة وسوف يتبعهم النبي ﷺ إلى المدينة، اجتمعوا في دار الندوة، وهي دار كانوا يجتمعون فيها يتشاورون ويتدبرون، واجتمع أشرافهم وسادتهم.

ثم قام واحد منهم وقال: لقد جمعناكم اليوم ليقول كل واحد مِنْكم برأيه في محمد، فهو كما علمتم قد ظهر أمره واتضح، وقد جاوز مكة، وامتد إلى المدينة.

وبدأ كل واحد منهم يقول رأيه في أمر محمد، فقال رجل اسمه أبو البختري بن هشام: احبسوه في الحديد، وغلّقوا عليه الأبواب، حتى يصيبه ما أصاب غيره من الشعراء، وقد كانوا يقولون عن النبي ﷺ أنَّه شاعر.

قالوا له: ليس هذا برأي وقد علمتم أصحابه، وحبَّهم له، وتعلقهم به، وأنه ليوشك ـ لو علموا ـ أن يكابرونا ويطلقوه من أيدينا، فلا نكون قد صنعنا شيئًا.

وقال رجل آخر: نخرجه من بيننا، ننفيه من بلادنا، فإذا خرج عنا فلا نبالي أين ذهب ولا حيث وقع.

قالوا: ما هذا برأي، ألم تر حسن حديثه، وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يقول من كلام حلو جميل، فإذا ذهب إلى بلد آخر أو حي من أحياء العرب،

سيعجبهم قوله وحُسْن خُلقــه، فيتبعوه، ثم يعود إلينا ويأخذ الأمر من أيدينا ويتغلب علينا ويخرجنا من مكة إذا لم نتبعه. فلنسمع رأيًا غير هذا الرأي.

توقف أبو جهل وقال: والله إن لي فيه رأيًا، أما أراكم فكرتم في مثله أو وقعتم عليه، فهو رأي صائب وسيعجبكم جميعًا.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا قويًا، ذات حسب وشرف فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا قاطعًا، فيضربوا محمد ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا، ثم يرضوا بفدية من المال، فنعطيهم فديته.

صفق الحضور لرأي أبي جهل، واستراحوا لقوله، وتفرقوا على ذلك.

ويوم اجتماع هؤلاء في دار ندوتهم، ودبروا مؤامرتهم، أوحى الله إلى رسوله وأعلمه أن القوم قد أجمعوا لك كيدًا ودبروا لك أمرًا، ولكن الله عاصمك من كيدهم، وحافظك من مكرِهم، فخذ عزمك للسفر، وهيىء نفسك للرحيل إلى المدينة.

وفي تلك الليلة وقف الشباب بسيوفهم يترقبون خروج الرسول ﷺ ليقتلوه، ولكنهم أصبحوا ينظرون حولهم ليجدوا الرسول ﷺ قد خرج من بينهم وأنهم باتوا يحرسون علي بن أبي طالب، لا محمد بن عبد الله، وهنا أدركتهم الحيرة وعلاهم الوجوم.

ونجا محمد وصاحبه أبو بكر إلى المدينة فهاجرا، أما الخمسة المستهزئون، الوليد بن المغيرة، وأصحابه فقد نزل جبريل - عليه السلام - إلى صاحبه محمد عليه الصلاة والسلام، ليبلغه أمر ربه بحمايته ممّن سخروا منه، واستهزؤوا به، وقال له جبريل - عليه السلام - : ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ** ﴾ (سورة الأنعام: ١٠).

أول هؤلاء المستهزئين هو الوليد بن المغيرة - كان غنيًا - أعطاه الله مالاً ممدودًا وبنين شهودًا من بينهم ابنه خالد بطل الإسلام وسيف الله المسلول الذي حارب الكفار وانتصر عليهم.

الوليد بن المغيرة: استهزأ بالنبي ﷺ، جلس الوليد ومعه بعض كفار مكة، ومرَّ الرسول ﷺ في طريقه لدعوة القبائل التي اجتمعت في موسم مكة.

قال الوليد ـ وكـان أكبرهم سنًا ـ: ما رأيكم في محمد هذا الذي ترك ديننا يجب أن نقول فيه قولاً ـ فما نقول فيه؟

قـال أحـدهم: نـقـول كـاهن ـ حـتى يخـافـه النـاس ويبتعـدوا عنه.

قال الوليد: لا، مـا هو بكاهن، لقد رأينا الكهان وليس فيه ما يشبه الكهان.

فقال آخر: نقول مجنون، فيتركه الناس ولا يستمعوا له.

فقال الوليد: لا، ليس بمجنون، لقد عرف الناس الجنون وهو ليس كذلك.

قال آخر: نقول شاعر.

فقال الوليـد: ما هو بشاعر ـ ونحن عـرفنا الشعر كله، وكل العرب يعرفون الشعر.

قال آخر: نقول ساحر.

قال الوليد: ما هو بساحر - لقد رأيت السُّحّار وسِحْرَهم.

فقال الناس: فما نقول أيها الشيخ الأمير.

قال الوليد: والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله نخلة ضاربة الجذور وفرعه رطب حلو لذيذ، إن أقرب القول فيه أن تقولوا: إن هذا الرجل ساحر البيان، ساحر الكلام، قوله سحر يفرق بين الابن وأبيه، وبين الأخ وأخيه، ويفرق بين الزوج وزوجه[1].

وقف أصحاب الوليد بعد أن سمعوا رأيه وقالوا: أصبت الرأي، وانطلقوا في سوق مكة، يقولون للناس: احذروا

---

(١) من «سيرة ابن هشام» (جـ١، ص٢٧٠)، ط. علوم القرآن، بتصرف في النص.

محمــدًا، احذروا كلامه، كلام مــحمد فيه ســحر يفرِّق بين الابن وأبيــه، والزوج وزوجتــه، وجلسوا في الطرقــات، في انتظار القبــائل قبل وصولها إلى مكة ليـقولوا لهم كل هذا ـ محمد ســاحر الكلام ـ احترسوا من محمد يســحِركم بجمال كلامه وحديثه.

نزل جبــريل على محمــد ﷺ ينذر الوليد بن المغــيرة ويحذره قائلا: ﴿ **إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ** ﴾ (سورة المدثر: ٢٥).

إن قولك يا محــمد قول بشر، ليس فيه ســحر البيان أو سحر الكلام كما قالوا.

ووجه جبريل عليه السلام الإنذار إلى الوليد بن المغيرة، سيدخل النار وسيصلى من لهيبهــا، قال جبريل لمحمد: إن الله تعالى ينذر الوليد فيقول: ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ** ﴾ (سورة المدثر: ٢٦-٢٩).

ولما جاء جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ مرة أخرى شكا النبي ﷺ إليه الوليد بن المغيرة، فواساه جبريل وأشار إلى عرق في ذراع الوليد، ثم قال للنبي ﷺ : «**إنّا كفيناك الوليد**».

فقال النبي ﷺ : «**وما صنعت يا جبريل**».

قال: «**كُفيته**» أي حميناك منه.

بعد هذا اللقاء مباشرة مرَّ الوليد برجل من خزاعة يجرب نبالاً فضربه بنبل في ذراعه، فأصابه في عرقه الذي أشار عليه جبريل، فقطعت ذراعه.

أما المستهزئ الثاني وهو الأسود بن عبد يغوث، فأشار جبريل عليه السلام إلى عينيه فعمي فأصبح أعمى لا يرى.

وأما أبو زمعة الأسود بن المطلب فأشار جبريل عليه السلام إلى رأسه فخرجت فيها قروح فمات.

وأما الحارث بن عيطل السهمي فأشار جبريل إلى بطنه، فشكا منه حتى مات.

وأما العاص بن وائل فقد ركب إلى الطائف حمارًا فوقع به على شوكة فدخلت عنقه فمات.

ومر جبريل عليه السلام بالحارث بن الطّلاطلة، فأشار إلى رأسه فأصيب بجرح ظل ينزف حتى قتله، لذلك فقد عصم **الله** نبيه محمد ﷺ وحماه من استهزاء المستهزئين وإيذاء الكفار الخارجين عن الدين.

فقطعت ذراع الوليد بن المغيرة.

وعـميت عـينا الأسـود بن عـبد يـغـوث، عندما أشـار جبريل عليه السلام إلى عينيه.

ومات الحارث بن عيطل من آلام بطنه عندمـا أشار إليها جبريل الأمين عليه السلام.

ومات العاص بن وائل من شوكة أصابت رقبته التي أشار عليها جبريل الأمين عليه السلام.

وعصم الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم وحمَاه.



سلسلة

بطولات النبي ﷺ

عمير بن وهب رضي الله عنه والجائزة الكبرى

عبد المنعم الهاشمي




دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
اسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

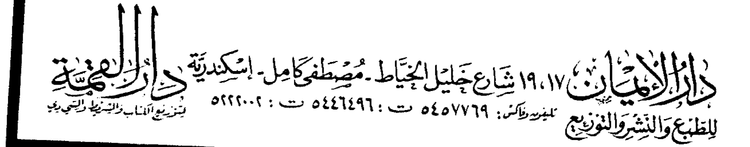
دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والشيء الإسلامي
ت: ٥٤٥١١٦٩

سلسلة

بطولات النبي ﷺ

عمير بن وهب والجائزة الكبرى





عمير بن وهب
والجائزة الكبرى

«لعل الله اطّلع على أصحاب بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (الرسول ﷺ).

انهزم المشركون في غزوة بدر وقتل أشرافهم ومنهم أبو جهل عدو الله، وقد صعب على أهل مكة تصديق ذلك النبأ المفجع الذي جاءهم به الحَيَسُمان بن عبد الله الخزاعي، حسبوا الرجل مجنونًا يهرف بما لا يعرف، ويهذي هذيان الحمقى.

انهزمت قريش أمام محمد وأصحابه، قتل الكثيرون من أبطالها وصناديدها أُسر الكثيرون، لم تدم المعركة أكثر من نصف نهار.

كذَّب الناس الخبر، لكنَّ الحيسمان يؤكده، فهو أول من وصل مكة من فلول قريش الهاربة، واجتمع الناس حوله يسألونه ماذا حدث؟

فيقول: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو جهل، وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود... و... وغيرهم، كلهم زعماء قريش، كلهم أشراف قريش، وأسر محمد بعض الناس وانهزم الباقون.

وقع الخبر على الناس وقوع الصاعقة، وشك في صدقه عدد كبير منهم، وسعى رجال إلى صفوان بن أمية، وكان قاعدًا في حجر الكعبة.

فقالوا: ألا تسمع يا صفوان ما يقول هذا الرجل؟

فقال: بلى، ولكن الرجل مجنون لا يعقل!!

وقالوا: كيف تقول هذا، الرجل من أشراف الناس؟!

فقال صفوان: إن كان عاقلاً فاسألوه عني.

فمشى الرجال إلى الحيسمان الذي قال عنه صفوان إنَّه مجنون لا يعقل، فقالوا له: أخبرنا يا حيسمان: ما فعل صفوان ابن أمية؟

فأجابهم قائلاً: ها هو ذاك في حجر الكعبة، ولقد رأيت أباه وأخاه حين قُتلا!!

سمع صفوان هذه الكلمة، فقام يجرر رجْليه جرًا، ثم مشى إلى بيته وهو لا يكاد يبصر أمامه، ودهش الناس دهشة كبيرة وصاروا ما بين مصدِّق ومكذِّب وموقن ومرتاب!!

وأصبح صفوان بن أمية بن خلف لا يفكر إلا في الثأر لأبيه أمية الذي قتل في غزوة بدر عندما خرج لقتال محمد ﷺ وأصحابه المؤمنين المسلمين فقتلوه ونصرهم الله عليه.

وذات يوم خرج عمير بن وهب من بيته في وقت مبكر واتجه إلى الحرم، فكان حول الكعبة، ثم جلس في الحجر، كان واجمًا حزينًا، لا ينظر إلى بعيد، بل يرمي بطرف عينه إلى الأرض أمامه.

وإنه لفي جلوسه إذا بابن عمه صفوان بن أمية يقدم عليه في الحجر فيحييه ثم يجلس إلى جنبه.

ونظر كل واحد منهما في وجه الآخر فقرأ ما يعتمل في نفسه من أحزان، وسأل صفوان عميرًا: أراك قد بكّرت في حضورك إلى الحرم يا أبا أمية، فما دعاك لذلك؟

وأجاب عمير: الذي دعاك أنت للتبكير يا أبا وهب!!

فقال صفوان: لقد أسفت يا ابن عمي وحزنت على قتل سادة قريش على أيدي رجال محمد ـ لقد افتقدتهم النوادي بعد أن كانوا ملء السمع والبصر، وبهجة العين والنظر، ومبعث السعادة والسرور، إن غيابهم عنا مصيبة كبيرة يا عمير.

سكت صفوان برهة ثم أراد متابعة كلامه الذي كان يصدر عنه وقد حمل حزنًا شديدًا، لكن عمير وضع يده على فيه، وقال له: اسكت يا ابن عم، فوالله لقد قطعت كلماتك أوصال قلبي وأكثرت حزني، وكدت أبكي مما تقول، دع عنك هذا الكلام.

ارتفعت الشمس كثيرًا وامتدَّ الضحى وصفوان وعمير لا يزالان جالسين بجوار الكعبة، يتحدثان تارة، وينظران في الناس تارة أُخرى، ويستمعان إلى الأشعار التي تلقى في نوادي الحرم تارة ثالثة.

وجعل صفوان يصيغ سمعه لكل منشد وشاعر يرثي موتاهم في بدر ويعجبه ما يسمع، أمَّا عمير فقد غلبه همُّه، فقال لصاحبه: دَعْنا أبا وهب، فوالله لو أنشد الشعراء ألوف الأبيات في سادتنا الذين أصبنا بهم يوم بدر لما وفّوْهم بعض حقهم، ولما خفف ذلك من أحزاننا عليهم!!

وقال صفوان: صدقت والله يا أبا أُمية، ما أعظم مصابنا في قومنا الـذين هلكوا على يد أصحـاب محمـد الذين يريدون أن نترك عبادة الأصنام ونعبد رب محمد.

ما أَمَرَّ البقاءَ بعدهم يا أبا أُمية!! إن الحياة بعد قَتْلَى يوم بدر أصبحت قبيحة.

وقال عمير: أجل والله ـ ما في العيش خير بعدهم!! وليس للحياة طعم بدونهم

ثم تنهد عمير تنهـيدة طويلة، وتابع كلامه قائلاً: والله لولا دَيْن عليَّ لا أجد أحدًا يقـضيه ويدفعـه عني، وعيال لا أدع لهم شيئًا، لذهبـت إلى محمد فقتلته، إن مـلأت عيني منه، فإن لي عنده عِلّة أعتل بهـا، وسبب أقوله لمحمد: أقـول له: لقد جئت من أجل ابني هذا الأسير.

فرح صفوان بن أمـية فرحًا عظيمًا، وأمـسك بالفرصة على الفور، أمسك بكلمة عمير هذه، عمير يقتل محمدًا، إنها فرصة رائعة، فما سمع صفوان بعد مصاب غزوة بدر كلمة أشهى على قلبه من كلمة عمير: أذهب لأقتل محمدًا.

على الفور فكر صفوان وحدد في ذهنه جائزة كبرى يكافئ بها عميرًا على صنيعه هذا الذي يريد أن يفعله.

قال صفوان لعمير: عليَّ دينك، أنا أسدده وأقضيه عنك، وأنت تعلم أني أكثر أهل مكة مالاً - وقد كان صفوان قد قنطر في الجاهلية، وقنطر أبواه أي: ملك كل منهما قنطارًا من ذهب.

ثم أضاف صفوان: وعيالك يا عمير إخوة عيالي في النفقة، أواسيهم وأعطيهم ما بقوا طوال حياتي، لا يسعني شيئًا أعطيه لهم فأعجز عنهم.

فكر عمير في هذه الجائزة الكبرى، مال وفير وسداد دين وعياله مثلهم مثل عيال أغنى رجل في مكة صاحب قنطار الذهب صفوان بن أمية، كل هذا لو استطاع قتل النبي ﷺ.

أراد عمير أن يتأكد من أن صفوان صادق في جائزته، فحدد نظره وعينيه في عيني صفوان قائلاً: وتفعل هذا يا أبا وهب؟!

فأجاب صفوان: نعم واللَّات والعزَّى.

وقال عمير: فأنا ذاهب إلى محمد فجر غَدٍ أقتله وأريحكم منه، ومع ذلك فأنا أرجو يا أبا وهب أن أقتله وأرجع إليك سالمًا.

فتعجب صفوان وقال: كيف، وأصحاب محمد يفتدونه بأنفسهم وآبائهم وأُمهاتهم وأولادهم، ويحبونه حُبًا لم نسمع بمثله؟

فأجاب عمير في حِدَّةٍ وحماس: يا ابن عم أنا رجل سريع الركض لا أُلحق، شديد الساعد، جيد الحديدة آتيه في غفلة منه، ثم أضربه بالسيف، ثم ألحق بالجبل، ولا يلحقني أحد من أصحابه.

قال صفوان في حزم: والله إن فعلت ذلك يا أبا وهب وعدت سالمًا لأبذلنَّ لك المال سخيًا ولأعطينك عطاءً جزيلاً كثيرًا بلا حدود.

فرح عمير فرحًا شديدًا وتأكد أنه سيحصل على جائزته الكبرى إذا قتل محمدًا، وعرف بلاشك أن صفوان صادق في وعده بالجائزة المالية الكبرى.

فقال: جزيت خيرًا يا ابن عم، يكفيني إنْ فعلت ذلك أني أشفي نفسي ونفوس قومي، وأني أكون قد ثأرت لهم من محمد هذا الذي جاء بدين لم يأت به أحد على قومه من العرب، وأصابهم بسببه ما لم يُصِب قومًا آخرين.

ثم همس عمير قائلاً بصوت خفيض: ولكن يا ابن العم دَعْ هذا الأمر بيني وبينك، لا تُطلع عليه أحدًا، ولا تحدث به إلا نفسَكْ، حتى يتم لي ما أريد، فأنا ماض فيه، فإما أن أموت دونه وأدع عيالي لك، وإما أن أفوز بجائزتك وأثأر لقومي.

فقال له صفوان مطمئنًا: إن لك عليَّ ألا أبوح بهذا السر أبدًا قامضِ لما أردت، رفقتك السلامة، وكان النَّجاح حليفَكَ.

ثم قام الرجلان صفوان وعمير، فغادرا حجر الكعبة، وسعى كل واحد في سبيله، بعد أن مكرا برسول الله ﷺ مكرًا خبيثًا، وتعاقدا على اغتياله فقتله وفجيعة المسلمين برسولهم الكريم، فهل ينجحا في مؤامرتهما؟

غادر عمير بن وهب الكعبة إلى بيته، وعمدا إلى سيفه، فأعدّه إعدادًا متقنًا، ووضع فيه سُمًّا ناقعًا، ثم هيأ راحلة سفره، وأخبر زوجته أنه مرتحل غدًا إلى المدينة ليفدي ابنه الذي أسره محمد ويأتي به، وأمرها أن تعد له زاد هذه الرحلة ففعلت.

وفي فجر اليوم التالي كان صفوان على موعد مع عمير في الحرم، وطافا حول الكعبة، ووقف عمير أمام الأصنام يتمسح

بها ويلتمس عونها!! وأطال الوقـوف أمام الكعبة وخاطب صنمه «هُبَل» الذي كـان بداخلهـا، وكـذلك وقف طويلاً أمـام صنمي «إساف» و«نائلة» عند بئر زمزم، ظنًا منه أن هذه الأصنام الساكنة الخاملة ستعينه على قتل واغتـيال محمد، ثم أقبل على ابن عمه صفوان يوصيه بأهله وأولاده من بعده خيرًا، ووعده صفوان كل خير، ثم إنهما ودع كل منهما الآخر، فتعانقا وذرفا الدموع، ثم ركب عمير راحلته ومضى إلى المدينة، أما صفوان فقد أقبل على الأصنام يقول لـها في ضراعـة ولهفة: «أيتـها الآلهـة كوني مع عمير، وانصريه على أعدائه، وردِّيه لنا سالمًا».

أمضى عمـير في مسيرِه إلى المدينة بضعـة أيام، وكان كلما اقترب من مقصده زاد حقده، وتأجج الغضب في نفسه، وقويت عزيمتـه على تنفيذ جريمته.

كان عمير يحدث نفسه حديثًا واحدًا لابن له، يعيده ويكرره ولا يمله.

كان يقـول في نفسه: سوف أثأر لقـريش، ولأبطالها الذين قـتلوا يوم بدر، ولنسائهـا الذين فـقدوا أزواجـهن، وللأمهـات اللاتي فقدن أولادهن، وسـوف أثار لكرامة قريش التي أُهينت، ولآلهتها التي سبَّها محـمد وأصحابه، ولأصنامها التي عابوا في

شأنها، وسوف أبطل سحر محـمد، وأدع أصحابه ينوحون عليه كما ناحت نساء مكة، وسوف أقـتله وأعود سالمًا، وأحصل على جائزتي من صفوان.

كان المسلمون قد فرغوا لتوهم من صلاة الفجر خلف رسول الله ﷺ في مـسجـده في المدينة، يذكـرون الله تعالى، حـتى طلعت الشمس فانصرف منهم من انصرف، وبقي في المسجد مع النبي ﷺ من بقي.

ووقف جماعـة من المسلمين أمام المسجد يـتذاكرون يوم بدر ونصر الله لهم. أما عمير فقد غمز ناقته يحثها على الإسراع في المسير، حتى يدخل يثرب مع صباح هذا اليوم الجديد، وقال في نفسه: إن هذا اليوم سيكون مشهودًا، وصل عمير إلى المدينة وها هو ذا يمشي في طرقاتها وهو يتمنى إلا يراه أحد من المهاجرين، فهم أهل مكة وسيـعرفونه، وسئل عن رسول الله ﷺ فـأُخبر أنَّه في المسـجد، فاتجـه إليه والشـمس بعد لمَّا ترتفع إلا قـليلاً. وفوجئ عـمير بـجماعـة من الصحابة قـريبًا من باب المسـجد، ومنهم عـمر بن الخطاب، فقـال في نفسـه غاضـبًا: يا لصـباح السَّوء. لكنه أردف قائلاً: وإن كان عمـر، فوالله لسوف أفعل ما قدمت من أجله ولو كان فيه هلاكي.

وحانت التفاتة من عـمر بن الخطاب، فرآه ينيخ راحلته على باب المسجد متوشحًا السيف، ففزع وقال لإخوانه: هذا عدو الله عمـير بن وهب!! والله ما جاء إلا لشـر، وهو الذي حرَّش بيننا للقتال يوم بدر، وحزر وقدر عددنا للقوم يوم بدر أيضًا.

ثم أسرع فدخل علـى رسول الله ﷺ وقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحًا سيفه، وهو الغادر الفاجر، يا رسول الله لا تأمنه على شيء.

قـال النبي ﷺ في هـدوء وطمـأنينة: «**أدخله عليَّ**»، ثم التفت إلـى أصحابه الذين يـجلسون إليه وقـال لهم: «**إنَّه يريد غدراً والله حائل بينه وبين ذلك**»، وخرج عمر إلى أصحابه فقال لهم: ادخلوا على رسول الله، فاجلسوا عنده، وأحـيفوا حوله، واحذروا عليه من هذا الخبيث، فإنه غير مأمون!!

ثم توجه إلى عمـير فقال له: تعـالى معي إلى رسول الله يا عدو الله. ودخل عمر المسجد وتبعه عمير، وعمر ممسك بحمالة سيفه في عنقه.

ووقع نظر عمير على رسول الله، فارتجف قلبه، وهابه هيبة عظيمة، حتى كأنه لم يره من قبل!! وقال النبي ﷺ : «**اتركه**

يا عمر، اقترب يا عمير»، واقترب عمير من النبي ﷺ وقال: انعما صباحًا، فقال النبي ﷺ: «**قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير بالسلام، تحية أهل الجنة!! ما أقدمك يا عمير؟**».

فأجاب عمير: قدمت في أسيري، ففادونا فيه؛ فإنكم الأهل والعشيرة.

فقال النبي ﷺ: «**فما بال السيف في عنقك؟!**».

فأجاب عمير: قبحها الله من سيوف!! وهل أغنت عنا شيئًا يوم بدر ولكني نسيته حين نزلت، وهنا حدث نفسه بأن يغامر ويهجم بالسيف على رسول الله، لكنه شعر بضعف، ورأى أن يده لا تستطيع حراكًا، فتعجب من أمره.

ولكن الرسول ﷺ فهم ما يدور وفي خلده، فأراد أن يصرفه عن وساوسه فقال له مرة ثانية وهو ينظر إليه: «**اصدقني ما أقدمك؟**».

فأجاب: قدمت في أسيري، واضطربت نفس عمير، وشعر وكأنه أحيط به؟ ولم يتركه النبي ﷺ في اضطرابه طويلاً بل فاجأه قائلاً: «**فما شرطت لصفوان بن أمية في حجر الكعبة؟**».

عندئذ فزع عمير فزعًا شديدًا، وقال: ما شرطتُ له شيئًا!!

فقال النبي ﷺ: «**بل تَحملت له بقتلي على أن يعول بنيك، ويقضي دينك والله حائل بيني وبينك**».

دهش عمير دهشة بالغة، وانكشفت الحقيقة أمامه، وأشرق الإيمان في قلبه فصاح: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله!! ـ يا رسول الله كنا نكذبك بالوحي وبما يأتيك من السماء، وإن هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في حجر الكعبة ولم يحضره أحد، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق!!

فرح النبي ﷺ بإسلام عمير وقال لإخوانه: «**فقهوا أخاكم في دينه** ـ أي علموه دينه ـ، **وأقرئوه القرآن، وأطلقوا له أسيره**»، وفرح الصحابة بإسلام الرجل، وعجبوا من قصته، وكان أشدهم فرحًا عمر بن الخطاب، فقال لعمير: اجلس يا عمير نؤانسك، فجلس إليه وتلطف له عمر وبشَّ في وجهه، ثم قال لإخوانه فيما بعد: والذي نفسي بيده لخنزير كان أحب إلي من عمير حين طلع، ولهو اليوم أحب إلي من بعض ولدي.

حصل عـمـيـر على جائزة أكبـر وأعظم من جائزة صـفوان الكبرى، وأقـام أيامًا في المدينة يجـلس إلى رسول الله ﷺ ، فتأنس به روحه، ويتـعلم منه ثم عاد إلى مكة وقد أسلم، وكان صفوان ينتظره ويقول للناس في مـكة: أبشروا بوقعة تأتيكم في أيام تنسيكم وقعة بدر!!

ولما عاد عمير بجائزته العظيمة الكريمة وهي الإسلام، وقص عليهم قـصته مـع رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسـلام وأكد لهم أن النبي ﷺ مـعصـوم ومـحمي من الله - عـزَّ وجلَّ -، وسوف يظل ﷺ بطل الأبطال مـهما أرسلوا إليـه من يقتله أو ينال منه.



سلسلة

بطولات النبي ﷺ



عبد المنعم الهاشمي





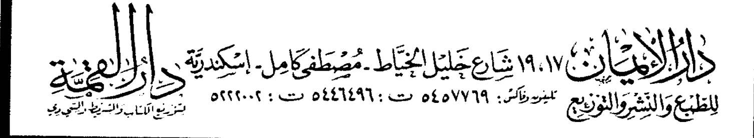
سلسلة

بطولات النبي صلى الله عليه وسلم

خوخة أبي بكر رضي الله عنه



رقم الإيداع
٢٠٠٤/٥٠٧٨
الترقيم الدولى
977-331-271-2



دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
١٧، ١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢
دار القمة

شجرة أبي بكر رضي الله عنه

أو (خوخة أبي بكر)

أنا شجرة خوخ كبيرة، لي ظل عريض، كنت أُظلل بيت أبي بكر الصديق، جذوري عميقة من أيام الجاهلية، لا أعرف كم من العمر بلغت، ولكن في يوم أحسست أنَّه يوم مولدي، في هذا اليوم المشرق، كنت أسبح بحمد الله، وأحسست أن هناك شيئًا يحدث، أحسست وأنا أسبح لله سبحانه - عزَّ وجلَّ - كعادة الشجر أن خبرًا جميلاً سيزف إلينا نحن معشر الشجر المسبح بحمد الله.

وفي الظهيرة علمت أن محمدًا ﷺ صاحب أبي بكر يدعو إلى رسالة، الرسالة تقول إن للناس إله واحد، لا شريك له، كنت أحزن عندما أسمع أن الناس يعبدون أصنامًا

على مقربة مني عند الكعبة، ولما سمعت بالنبي ﷺ فرحت فرحًا عظيمًا، عرفت فيما بعد أن النبي محمد ﷺ يتعرض للأذى هو وأصحابه. كانت عائشة بنت أبي بكر تلعب تحت ظلي، وكذلك أختها أسماء وهي أكبر منها سنًا، وعلمت أنها أسلمت وكل بيت أبي بكر رضي الله عنه دخل الإسلام.

وسمعت عن هجرة المسلمين إلى الحبشة هربًا مما كانوا يتعرضون له من تعذيب، عُدْتُ إلى تسبيحي ودعائي أتمنى من الله أن يعودوا وقد أصبحت مكة كلها قد دخلت الإسلام.

وفي صباح اليوم التالي وجدت أبا بكر رضي الله عنه يحضر ناقة ثانية ويقدم لها علفًا وكأنه يعدها لرحلة هامة.

علمت أن معظم الصحابة قد خرجوا مهاجرين إلى المدينة، وعلمت أن قريش كانت تطارد من تطارد، وتعيد من هؤلاء المهاجرين من تلحق به في الطريق، وقد خرج الناس

جماعات، يتبع بعضهم بعضًا. لم يبق بمكة تقريبًا سوى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلي بن أبي طالب، ومن منعهم المشركون كرهًا وبالقوة من الخروج من مكة. سمعت أن رسول الله قد أعدَّ جهازه ينتظر متى يؤمر بالخروج، وأعدَّ أبو بكر جهازه، فقال له رسول الله ﷺ: «**على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي**»، فقال له أبو بكر: وهل ترجو ذلك؟ قال: «**نعم**»، فحبس أبو بكر نَفْسَه على رسول الله ﷺ ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده[1].

وبينما أنا أسبح كما يسبح الشجر كله لله، علمت أن هناك مؤامرة تدبَّر لرسول الله ﷺ، علمت أن المؤامرة بدأت في «دار الندوة» وهي نادٍ للكفار، اجتمعت قريش بأشرافها وشيوخها في دار الندوة لتدارس خطة سريعة للقضاء على رسول الله ﷺ، لقد قالوا إن محمدًا أصبح

(١) «صحيح البخاري»، باب: هجرة النبي وأصحابه (١/ ٥٥٣).

خطرًا علينا، يـؤيده أهل المدينة، ويسـتـعـدون لاستـقـبـاله وأصحابه، وإيوائهم، والدفاع عنهم، وانتشار الإسلام بينهم، سألت عن أسماء المجـتمعين في دار الندوة فعلمت أن بينهم أبو جهل بن هشام، وجـبير بن مطعم، وشيبة وعـتبة وعدد كبير من زعماء قريش ورؤسائهم.

ولما جلسـوا في دار الندوة، جـاءهم إبلـيس على شكل رجل عجوز وقور وهادئ، فقالوا: من الرجل؟

قـال إبليس: رجل من أهل نجـد سـمع باجتـمـاعكم، فحضرت لأسمع ما تقولون، لأقدم لكم الرأي والنصح.

قالوا: أجل فادخل.

فدخل إبليس مـعهم، وتشاوروا، فمنهم من قـال: ننفيه من بلادنا ولا نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع.

فاعترضوا على هذا الرأي، وقالوا: سيذهب إلى حي من العرب، ثم يجيء بهم إلينا، ويحاربنا ويفعل بنا ما يريد.

وتعددت الآراء فهذا يقول: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه بابًا.

إلى أن قال أبو جهل: إن لي رأيًا لم تصلوا إليه حتى الآن.

فقالوا: وما هو هذا الرأي؟

سبحت بحمد الله وزاد خوفي من اقتراح أبي جهل، واستمعت جيدًا لهذا الرأي، قيل لأبي جهل: ما هو اقتراحك يا أبا الحكم؟

قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا قويًا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثم يذهبون إلى محمد فيضربونه ضربة رجل واحد، فيقتلونه، فنستريح منه، فإنهم إن فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعًا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا. فرح إبليس وهو على صورة رجل عجوز من نجد بما قاله أبو جهل، أمَّا أنا فقد

حزنت، وبدأت فروعي تهتز خوفًا على رسول الله، فجعلت أسبح كما يسبح كل الشجر.

وعلمت أن الجميع وافقوا على مؤامرة أبي جهل لقتل النبي ﷺ، أنا أعرف كل رجال مكة، علمت أن أحد عشر شابًا قد اختيروا لتنفيذ العملية القذرة، وهي محاولة اغتيال النبي ﷺ علمت الأحد عشر هم: أبو جهل، والحكم بن العاص، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، زمعة بن الأسود، وأُمية بن خلف، وطعيمة بن عدي، وأبو لهب، وأبي بن خلف، ونبيه بن الحجاج وأخوه منبه[1].

كلهم من قبائل وبيوت قريش، وقد اختير عمه أبو لهب واحدًا من هؤلاء، ولما سمعت اسمه من الأحد عشر رجلاً الذي جاءوا لقتل النبي ﷺ، لما سمعت اسم أبي لهب

(١) «زاد المعاد» (جـ٢، ص٥٢).

اهتزت فـروعي وارتعشت غصـوني مما أزعج العصافـير التي تسكن في أحضاني وعلى فروعي، وعـدت أسبح كما يسبح كل الشجر لله عزَّ وجلَّ.

وفيما كـانت تصلني هذه الأخبار لمحت رسول الله ﷺ قادمـًا، كان الوقـت ظهرًا، والشمس تلفح البشـر بحرارتها، تمنيت لو أني كنت فـي طريقه - علـيه السـلام - فـأظله بظل فروعي وغـصوني وأسعد بجلوسـه إلى جواري، ولكني كنت خلف بيت أبي بكر، فشجر الخوخ يزرع خلف البيوت أحيانًا.

سـمعت من يقـول لأبي بكر الصديق: هذا رسـول الله ﷺ يأتي متقنعًا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها.

جاء مقنعـًا مختبئًا حتى لا يعـرفه أحد، دخل دار أبي بكر رضي الله عنه، وقـال لأبي بكر: «**أَخْـرِجْ مَنْ عندك**»، يقـصد أهله وأبناءه.

فرد أبو بكر ردًا جميلاً وقال: إنما هم أهلك، فداك أبي وأمي يا رسول الله.

فقال ﷺ: «**فإني قد أذن لي في الخروج**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: «الصحبة يا رسول الله؟».

فقال رسول الله ﷺ: «**نعم**»[1].

فرح أبو بكر بصحبة النبي ﷺ في الهجرة، وسعدت أنا غاية السعادة ولكني كنت خائفة من مؤامرة قريش. فعدت أسبح كما يسبح الشجر، وأيقنت أن الله سيحميه من قريش ومؤامراتها.

اتفق الرسول ﷺ مع صاحبه أبي بكر على خطة الهجرة، ثم رجع إلي ينتظر مجيء الليل.

---

(١) انظر «صحيح البخاري» باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه (جـ١، ص٥٥٣).

أمَّا الكفار، فقد قضـوا طيلة نهارهم يعدون العُدَّة لتنفيذ الخطة التي اتفقوا عليها في دار الندوة صباح ذلك اليوم، مع الرجال الذين اختاروهم لاغتيال النبي ﷺ.

أقبل الليل، وجـاء الظلام، فلما كان الأحد عـشر رجلاً على باب رسـول الله ﷺ ينتظرونه ويرصدونه حـتى نام، فيثبون عليه مرة واحدة[1].

قامت العصافيـر على أغصاني ولم أنم، ظللت أسبح الله كما تسبح الشجر، ولا أخفي علـيكم فقد كنت خائفة، فقد اتفق الكفار على تـنفيذ جريمـتهم بعد منتـصف الليل، وجاء منتصف الليل ومضى، وسمعت في سكون الليل صوتًا يرتل قولاً جـميلاً لله ـ عـزَّ وجلَّ ـ يقول: ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ (سورة الأنفال: ٣٠).

---

(١) «سيرة ابن هشام» (جـ١، ص٤٨٢).

علمت أن رسول الله كان في بيته، وأيقنت أنه ناج منهم بإذن الله، فهمت ذلك من هذه الآية الكريمة، ودعا رسول الله عليَّ بن أبي طالب ابن عمه الفتى الصغير وقال له: **«نَمْ على فراشي، وتسجَّ ببردي هذا الأخضر الحضرمي، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيءٌ تكره منهم»**[1].

وعند الموعد المحدد خرج الرسول ﷺ من داره، واخترق صفوفهم، وأخذ حفنة من تراب الأرض، فجعل ينثر التراب على رؤوسهم، وقد أخذ الله سبحانه وتعالى أبصارهم فلا يرون النبي ﷺ، وقد بدأ عليه الصلاة والسلام يتلو قول الله - عزَّ وجلَّ -: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ (سورة يس: ٩)، فلم يبق منهم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا.

(١) «السيرة» (جـ١، ص٤٨٢).

سبحت بحمد الله فرحًا، سجدت سجود الشجر لله شكرًا، وما هي إلا لحظات حتى سمعت صوت أقدامه ﷺ قادمًا من داره إلى دار أبي بكر ﷺ فجعلت أسبح فرحًا وحمدًا وشكرًا كما يسبح الشجر.

وفي لحظات قليلة خرج أبو بكر ﷺ ومعه الرسول ﷺ وقفا لحظات عندي، أعطى أبو بكر تعليماته لابنته أسماء أن تزودهما بالطعام، وإلى ابنه أن يبلغهما بأخبار مكة يومًا بيوم، أما راعي غنمه عامر بن فهيرة فقد أوصاه بأن يمشي في أثرهما بالغنم حتى لا يلحظ الكفار آثار أقدامهما.

ومضيا معًا إلى جهة الجنوب في اتجاه اليمن[1] رغم أن المدينة في الشمال، ومضيا حتى لحقا بغار ثور في اتجاه اليمن.

---

(١) انظر «زاد المعاد» (جـ٢، ص٥٢).

أما الكفار فقد ظلوا يحاصرون بيت رسول الله ﷺ في انتظار الهجوم عليه، وفيما هم يهمّون بالدخول حتى جاء رجل ورآهم بباب النبي ﷺ ، فقال لهم: ما تنتظرون؟!!

قالوا: ننتظر محمدًا؟

قال الرجل: خبتم وخسرتم، لقد مرَّ بكم، ونثر على رؤوسكم التراب، وانطلق لحاجته.

قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، كدت أضحك لهذا المنظر، ولكني عدت أسبح بحمد الله كما يسبح الشجر، ولما تطلعوا إلى فراش رسول الله ﷺ وجدوا شخصًا نائمًا، فقالوا: إن محمدًا نائم عليه برده، ولكنهم وجدوا عليًا، فلما سألوه عن رسول الله ﷺ؟ قال: لا علم لي به[1].

---

(١) المصدر السابق.

وسلك النبي ﷺ طريقًا غير الطريق الذي ستتوقعه قريش وهو المتجه شمالاً، لقد سلك الطريق الذي يضاده تمامًا، وهذا الطريق يقع إلى جنوب مكة، والمتجه نحو اليمن، ومضى النبي ﷺ وصاحبه حتى وصلا إلى جبل ثور، وهو جبل شامخ، وعر الطريق، صعب المرتقى ذو أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله ﷺ، إذ كان يمشي في الطريق على أطراف قدميه الشريفتين كي يخفى أثره، فحفيت قدماه.

وعاونه أبو بكر حتى انتهى به إلى غارٍ في قمة الجبل، عرف في التاريخ بغار ثور.

حمدت الله أن وصلا بسلام، وقد غابت أخبارهما عنِّي بعد دخولهما غار ثور، وسأعود الآن إلى تسبيح ربي كما تسبح الشجر لله عزَّ وجلَّ.

نشاطات تعليمية

١ ـ ارسم شجرة داخل هذا المربع.

٢ ـ ما اسم الدار التي اجتمعت فيها قريش؟

٣ ـ لماذا أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة؟

٤ ـ كم رجلاً من قريش كان يريد قتل الرسول ﷺ ؟

٥ ـ إلى أيِّ اتجاه اتجه الرسول ﷺ وصاحبه أبو بكر ليلة الهجرة؟

سلسلة

بطولات النبي ﷺ



عدو الله

عبد المنعم الهاشمي



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

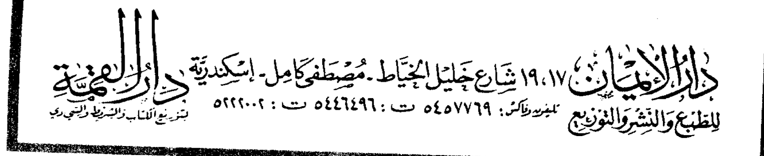
سلسلة

بطولات النبي ﷺ

ابن قمئة

عدو الله





ابن قـمـيئـة
(عـدو الله)

«ادفعـو الخـيل عنّا بالنبـال.. ولا يأتوننا من خلفنا، وإن كانت لنا أو علينا ..» (الرسول ﷺ يوم غزوة أحد).

عـدو الله:

كان ابن قـميئة كافـرًا مشركًا وكـان فاجرًا متكـبرًا، كان عدوًا للنبي ﷺ، حاول قتل النبي ﷺ يوم غزوة أحد، ولكن الله يدافع عن نبيه ورسوله، وعن عباده الذين آمنوا من أصحاب رسول الله ﷺ.

استطاع ابن قمـيئة الفاجر الكافر أن يقـتل أول سفير في الإسلام، اسـتطاع أن يقتل مـصعب بن عُـمير رضي الله عنه، كان مصـعب يدافع عن رسول الله ﷺ حين قـتله ابن قميـئة. ترى مـا هي قصة عـدو الله مع رسول الله ﷺ؟ ذلـك ما سنجيب عليه في قصتنا هذه.

هُزِمَ الكفار في غزوة بدر هزيمة منكرة واستطاع المسلمون قتل زعـماء الكفار ومنهـم أبو جهل وغيـره، ومضت الأيام ومـرَّ عام على غـزوة بدر، وفي العام التـالي أعدت قـريش عدتهـا ـ ثلاثة آلاف مقـاتل من قريش والحلفـاء، ورأى قادة جيش قريش أن يصحبوا معهم النساء حتى يكون الرجال أكثر حمـاسة خـوفًا على أعراضـهم ونسائهم. ومع قـريش ثلاثة آلاف بعير، ومائتا فَرَس[1]، وسبعمائة درع وكان قائد الجيش هو أبو سفـيان بن حرب، وقـائد الخيل والفرسـان خالد بن الوليد ومعه عكرمة بن أبي جهل.

وفي موكب ضخم ومخـيف تحرَّك الجيش المكي، جيش قريش في اتجـاه المدينة وكل رجاله يحملون الغـيظ والثأر من المسلمين ومحمد ﷺ ، ولما تهيأ القـوم للمسير والعباس بن عـبـد المطلب عم النَّبي ﷺ واقف بينهـم وهو مطَّلع على سرِّهم، وكان العباس يزعم حرصه على دين آبائه ودين قومه

---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ٩٢).

إلا أنه كان أكثر حرصًا على ابن أخيه محمد ﷺ لأنه كان يحبه لصدقه وأمانته، وقد حضر العباس مع ابن أخيه لقاء الأنصار في بيعة العقبة مع ابن أخيه محمد ﷺ قبل هجرته إلى المدينة.

قرر العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ أن يكتب رسالة لابن أخيه محمد ﷺ يطلعه فيها على سر قريش، وأنهم خارجون إليه في جيش ضخم، وذكر في الرسالة عدد جيش الكفار وتحدث عن نيتهم في القضاء على محمد ﷺ والمسلمين، وكتب الرسالة وسلمها لرجل من قبيلة تسمى غفار، فسار به إلى النبي ﷺ حتى وصل المدينة بعد ثلاثة أيام من المشي ثم سلمه للرسول ﷺ.

أما جيش الكفار - جيش قريش - فقد سار حتى نزل عند سفح جبل أحد، وهو على بعد خمسة أميال من المدينة، أما الغفاري حامل الرسالة من العباس عم النبي ﷺ فقد وصل المدينة ووجد النبي ﷺ في قباء، فذهب إليه فلقيه

على باب المسجد، فأعطاه كتـاب العباس، فقرأ الرسالة على النبي ﷺ أُبي بن كعب رضي الله عنه فاستكتمه النبي أي طلب منه أن يكتم سر الرسالة.

وقد بدأت المدينة في حالة تأهب قصـوى واستنفار عام، يحمل رجالها السلاح ليل نهار، استعدادًا لأي طارئ يطرأ.

وقـام مجـموعـة من الأنصـار المؤمنين المخلصين قامـوا بحراسة النبي ﷺ ومنهم سعد بن عـبادة، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما، فكانوا يبيتون على باب بيـته مسلحين، وعلى مداخل المدينة وطرقاتها وضعت مجمـوعات مسلحة للحراسة، حتى لا يؤخـذوا على حين غـرة أو يـفـاجـئـهم العـدو. وأطلق المسلمون دوريات مـسلحة من رجالهم، تستكشـف تحركات قريش فكانت تتجول حـول الطرقات التي يمكن أن يأتي منها الأعداء للإغارة على المدينة والمسلمين.

عـسكر الجـيش المكي «جـيش الكفـار» قـرب المدينة، ونقلت مخـابرات المدينة أخبار جـيش قريش ساعة بسـاعة ولحظة بلحظة.

شاور الرسول ﷺ أصحابه في الأمر، وأخيرًا اتفقوا على الخروج إلى العدو حتى لا يقولوا أنهم جبناء.

وكان في مقدمة الراغبين في الخروج حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ والذي كان بطلاً عظيمًا في معركة بدر، فقد قال حمزة رضي الله عنه للنبي ﷺ: «والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم طعامًا حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة»[1]، ونزل رسول الله ﷺ على رأي أصحابه وقرر الخروج من المدينة ولقاء العدو أينما كان.

وجاءت صلاة الجمعة، فصلى رسول الله ﷺ بالناس فأمرهم بالصبر والثبات والجد والاجتهاد، وأخبرهم أن لهم النصر إذا استعدوا لعدوهم استعدادًا جيدًا.

وبعد أن صلى بالناس العصر، تجهز ﷺ بسلاحه، فلبس درعًا وتقلد السيف، ثم خرج على الناس ومعه صاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكان النَّاس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ.

---

(١) انظر «السيرة الحلبية» (٢/ ١٤).

خرج رسول الله ﷺ في ألف مقاتل فيهم مائة وخمسون دارعًا وخمسون فارسًا، ولما وصل مفترق الطرقات المؤدية إلى خارج المدينة انطلق ﷺ حتى وصل بالقرب من جبل أُحُد، فجعل ظهر جيش للجبل وجيشه أمام الجبل وقال لجنوده: **«لا يقاتلنَّ أحد منكم حتى نأمره بالقتال»**.

أما قريش فوقفت أمام جيش المسلمين، ووقف ابن قميئة في جيش الكفر يضمر السوء لرسول الله ﷺ.

وتعبأ رسول الله ﷺ وهو في سبعمائة رجل هم كل جيشه، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير الأنصاري وهو مميز يومئذ في ثياب بيضٍ، وكان الرماة خمسين رجلاً، وكانوا من أمهر الرماة الذين يرمون بالنبل، وأمرهم بالتمركز على الجبل، وتحدث الرسول لله إلى قائد الرماة عبد الله بن جبير الأنصاري رضي الله عنه وهو من أبطال غزوة بدر، فقال له: **«انضح الخيل عنا بالنبل، ولا يأتون من خلفنا إن كانت لنا أمر علينا فاثبت مكانك ولا نؤتين من قبلك»**[1].

(١) «السيرة» لابن هشام (جـ١، ص٦٥).

ثم قال رسول الله ﷺ للرماة الأبطال: **«احموا ظهورنا، فإن رأيتمونا نُقْتَلُ فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا قد غنمنا - انتصرنا - فلا تُشركونا»**[1].

وهنا قصد الرسول ﷺ أن الرماة لا ينزلوا من فوق الجبل مهما حدث، وكل مهمتهم حماية ظهر جيش المسلمين حتى لا يأتي الكفار من الخلف، وبهذا وضحت المهمة التي كلّف بها الرسول ﷺ رجاله من كتيبة الرماة، وكانت هذه المهمة هي التي تحدد نتيجة المعركة سواء بالنصر أو الهزيمة، وبعد أن أمّن رسول الله ﷺ ظهر جيشه ومؤخرته بالرماة جعل على ميمنة جيشه المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام يسانده المقداد بن الأسود، وأوكل إلى الزبير ابن العوام مهمة الصمود في وجه الفرسان من جيش قريش بقيادة خالد بن الوليد الذي لم يدخل في الإسلام بعد.

---

(١) رواه أحمد والطبراني عن ابن عباس، (فتح الباري، ٧/ ٣٥٠).

وبدأت المعركة وتقارب الجيشان وتلاحم الجيشان، واشتد القـتال، واندفـعت النفـوس المؤمنة تدافع عن دينهـا، وكل مسلم بطـل يردد مع ضربات سيـفه ورمحـه شعـارًا يقول: أَمِتْ، أَمِتْ.

ومضت أحداث المعركة في صالح المسلمين، وبدأ جيش الكفار والمشركين في التقهقر والاندحار، وأخذ جيش الكفار ينسحب ويتـراجع بل لجأ إلى الفـرار، وأنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعده.

وبينما كـان جيش الإسلام يطارد فلـول المشركين ومنهم ابن قميـئة الكافر، ورأى الرماة المسلمـون من فوق الجبل أن إخوانهم الأبطال قـد انتصروا وبدأوا يجمـعون الغنائم، ظنوا أن المعركة قـد أوشكت على الانتهاء وارتكبوا خطئًـا فادحًا، أدى إلى قلب دفـة المعركة لصـالح المشركين، بل كـاد النبي ﷺ أن يُؤذى ويُقـتل لولا حفظ الـه سبـحانه عـزَّ وجلَّ،

فبرغم الأوامر المشددة نسي الرماة ما أمرهم رسول الله وذكرهم قائدهم عبد الله بن جبير قائلاً: «أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟»، لكنهم لم يستمعوا واندفع أغلبهم، وقالوا: والله لنأتين الناس، ولنصيبن من الغنيمة»[1].

ثم انطلق أربعون رجلاً منهم وتركوا مواقعهم في الجبل، والتحقوا بجيش المسلمين ليشاركوا في جمع الغنائم، وأصبح جيش المسلمين مكشوف الظهر ولم يبق في الجبل إلا ابن جبير قائدهم وتسعة من أصحابه، التزموا بالأوامر. وصمموا على البقاء حتى يؤذن لهم أو يقتلوا.

وكانت هذه فرصة ذهبية لخالد بن الوليد، قائد فرسان المشركين في ذلك الوقت، فاستدار بسرعة البرق، وجاء من الخلف فقتل عبد الله بن جبير قائد الرماة المسلم وأصحابه

---

(١) انظر: «صحيح البخاري» من حديث البراء بن عازب (١/ ٤٢٦).

التسعة الذين ظلوا في أماكنهم، وهاجم جيش المسلمين من الخلف، وانقلبت دفة المعركة لصالحهم، ورفعت راية المشركين الملقاة على التراب، والتف حوله المشركون وتجمعوا وهاجموا المسلمين، وأصبح المسلمون محاصرين من الأمام والخلف.

وكان الرسول ﷺ في صحبة تسعة بين أصحابه، يلاحظ قتال المسلمين فنادى أصحابه ودعاهم إلى العودة للقتال، ولما سمع الكفار صوته وسمع ابن قميئة صوته عرفوا مكانه واتجهوا نحوه ليؤذوه، وكان حول الرسول من أصحابه مصعب بن عمير، وأبو دُجانة، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد ومعاذ، والسيدة أم عمارة نسيبة بنت كعب، سوف نسمع قصة هذه اللحظات الصعبة من المعركة من السيدة أم عمارة التي تقول:

«خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو في أصحابه والنصر للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله ﷺ فقمت أباشر القتال، وأدافع عنه بالسيف، وأرمي بالقوس، حتى خرجت وكثرت الجراح في جسدي، فلما انصرف الناس عن رسول الله ﷺ، أقبل ابن قميئة يقول: «دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا».

فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير وأُناس ممن ثبت مع رسول الله ﷺ، فضربني هذه الضربة، ولكني ضربته عدة ضربات ولكن عدو الله كانت عليه درعان»[1].

(١) «سيرة ابن هاشم» (جـ٣، ص٨٧).

وقتل ابن قميئة بسيفه مصعبَ بن عمير ﷺ، فقد كان مصعب يحمل راية المسلمين يوم أحد، فلما تشتت المسلمون ثبت مصعب بالراية فأقبل ابن قميئة وهو فارس، فضرب يد مصعب اليمنى فقطعت، ومصعب يقرأ القرآن ويقول: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** ﴾ (سورة آل عمران: ١٤٤)، وأخذ الراية بيده اليسرى وحنا عليها، فضرب يده اليسرى فقطعها، فحنا على الراية وضمها بعضديه إلى صدره، وهو يقول: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ** ﴾.

ثم هجم عليه ابن قميئة مرّة ثالثة بالرمح فوقع مصعب ابن عمير شهيدًا، لقد افتدى رسول الله ﷺ بجسده، وكان ابن قميئة يظن أن مصعب بن عمير هو رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش فقال: قتلت محمدًا.

ولكن محمدًا ﷺ حفظه الله - عزَّ وجلَّ - من كل شر، وكفاه شر الكفار والمستهزئين ففي الوقت الذي لم يبق معه سوى طلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص ورجال من الأنصار وأم عمارة رماه أحد الكفار فأصيب في وجهه وشفته السّفلى، وتقدم إليه رجل آخر من المشركين فأصابه في جبهته، ولكنه ﷺ كان بطلاً، فما إن أصابه ابن قميئة في وجهه وهو يقول: خذها وأنا ابن قميئة، حتى رد عليه بشدة وغضب: أقمأك الله.

فاستجاب الله لدعاء النبي الكريم ﷺ، فحينما انصرف إلى أهله، خرج إلى غنمه فوجدها فوق قمة الجبل قد هربت وساحت هناك في أعلى الجبل، فصعد إليها لكي يعيدها أسفل الجبل، فلما جاء عندها إذا بتيس من المعز له

قرنان كبيران فنطحه برأسه نطحة جعلته يسقط من أعلى قمة الجبل الشاهق فتحطمت رأسه وتقطع أربًا أربًا[1].

واستجاب الله لدعاء نبيه الحبـيب، وقُتل ابن قميئة، قتله تيس بن تيس، والتيس هو ذكر الماعز.

لقد عصم الله رسوله وحماه من كل شر يؤذيه، ﷺ.



(١) «فتح الباري» (جـ٧، ص٣٦٦، ص٣٧٣).

سلسلة

بطولات النبي ﷺ

الحصان والجائزة الكبرى

عبد المنعم الهاشمي

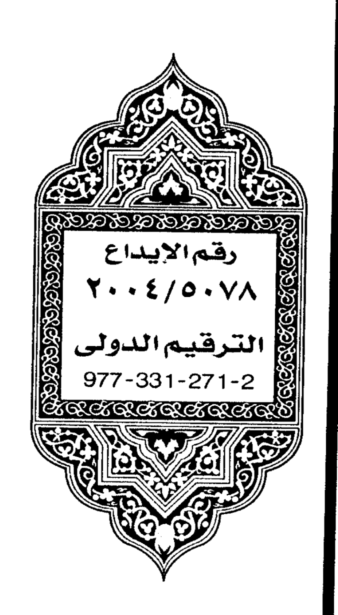


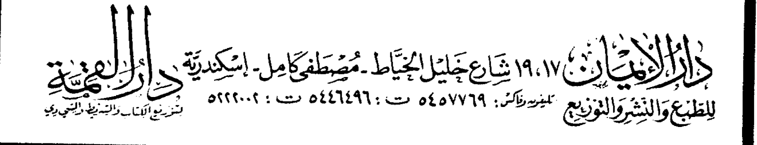


سلسلة

بطولات النبي ﷺ

الحصان والجائزة الكبرى





الحصان والجائزة الكبرى

أنا حصان عربي أصيل، تعرفني من كثرة الصهيل، فصوت الحصان يسمى الصهيل، صاحبي هو سراقة بن مالك، وهو من بني مدلج، وبنو مدلج هؤلاء أهل قيافة، والقيافة هي معرفة الآثار في الطريق، فكان إذا الناس أرادوا أن يقتفوا أثر هارب أو فار أو غير ذلك جاءوا برجل من بني مدلج أهل سراقة[1].

كنت أنا وصاحبي سراقة ننزل منطقة تسمى القديد بين مكة والمدينة وسكنَّا مكة فترة من الزمن.

علمت أن قريش قد جُنَّ جنونها حينما أحست أن محمدًا ﷺ قد أفلت منها ليلة المؤامرة في مكة، وسمعت أنه كان في الغار مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه، وكان عبد الله

---

(١) انظر «طبقات ابن سعد»، جـ١، ص١٨١، ٢٣٢، «الرياض المستطابة» لليمني ص١١٨، «أسد الغابة».

ابن أبي بكر ينزل من عندهما في الفجـر، فيصبح مع الناس في مكة كـأنه كان نائمًـا في مكة، فـلا يسمع أمـرًا تكن به قريش لرسول الله ﷺ ولأبيـه أبي بكر حتَّى يأتيهمـا بخبر ذلك حتى يجيء الظلام[1].

علمت أن الكفـار جـاؤوا إلى دار أبي بكر، وقـرعـوا بابه، فخرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر، فقالوا لها: أين أبوك؟ قالت: لا أدري والله أين أبي؟ فرفع أبو جهل يده، وكان أبو جـهل رجلاً خبـيثًا، فلطم خـدها لطمة أطارت قرطها من أذنها[2].

لما سـمعت هذا الخـبر نفـرت نفرة أطارت كل طعـامي وصهلت ورفعت قدماي إليَّ تعبيرًا عن غضبي، فنحن معشر الخيل لا نحب الظلم، وعلمت أن عامر بن فـهيرة خادم أبي بكر وراعي غنمه كان يرعى الغنم ويتبع بغنمه أثر عبد الله بن

(١) انظر «فتح الباري» (٧/ ٣٣٦)، و«صحيح البخاري» (جـ١ ـ ص٥٥٣، ٥٥٤).
(٢) «سيرة ابن هشام».

أبي بكر بعد ذهابه إلى مكانه، ليمحو أثر أقدامه، فلا يتبعه أحد إلى الغار.

ولمّا رجع المطاردون من الغار، وهدأت المطاردة، وتوقفت أعمال البحث والتفتيش، بعد ثلاثة أيام من بدئها، تهيأ رسول الله ﷺ وصاحبه للخروج إلى المدينة، وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط، وكان خبيرًا قديمًا بالأماكن والمنافذ، ماهرًا بالطريق، وكان على دين كفّار قريش، وقد أمنه الرسول وأبو بكر على ذلك، وسلماه ناقتيهما - وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال بناقتيهما وجاء عبد الله بن أريقط بالناقتين، وحينئذ قال أبو بكر للنبي ﷺ : بأبي أنت وأمي يا رسول الله! خُذْ إحدى راحلتي هاتين، وقرب إليهما أفضلهما. فقال رسول الله ﷺ : «**بالثمن**».

وعلمت أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما جاءت بطعامهما، ونسيت أن تجعل لها رباطًا، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق الطعام،

فإذا ليس لها رباط، فشقت نطاقها اثنين، فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر، فسمِّيت بذات النطاقين[1].

ثم ارتحل رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه، وارتحل معهما عامر بن فهيرة، وأخذ بهم الدليل: عبد الله ابن أريقط على طريق الساحل.

وأول ما سلك بهما بعد الخروج من الغار اتجه إلى الجنوب نحو اليمن، ثم اتجه غربًا نحو الساحل، حتى إذا وصل إلى طريق لهم يعرفه النَّاس، اتجه شمالاً على مقربة من البحر الأحمر، وسلك طريقًا لم يسلكه أحدٌ إلا نادرًا.

وقد سمعت أن أبا بكر تحدث عن طريقهما هذا فقال: أسرينا ليلتنا ومن الغد حتى جاء وقت الظهيرة، دخلا الطريق لا يمر منّه أحد، فـرُفِعَتْ لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس، فنزلنا عنده، وسوّيت للنبي ﷺ مكانًا بيدي، ينام عليه، وبسطت عليه فروة، وقلت: نم يا رسول

---

(١) «صحيح البخاري» (جـ١، ص٥٣٣، ص٥٥٥)، و«ابن هشام» (جـ، ص٤٨٦).

الله، وأنا أراقب لك ما حولك[1]، فنام، وخرجت أراقب ما حوله، فإذا براعي غنم مُقْبِلٌ بغنمه إلى الصخرة، يريد منها مثل الذي أردنا، فقلت له: لِمَنْ أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة أو مكة، فقلت: أفي غنمك لبن؟

قال: نعم.

قلت: أفتحلب؟ قال: نعم.

فأخذ شاةً، فقلت: انفض الضرع من التراب، والشعر والقذى، فحلب في إناء لبنًا، ومعي إدواة حملتها للنبي ﷺ، يرتوي منها، يشرب ويتوضأ، فأتيت النبي ﷺ، فكرهت أن أوقظه، فوافقته حين استيقظ فصببت من الماء على اللبن حتى برد أسفله، فقلت: اشرب يا رسول الله! فشرب حتى رضيت، ثم قال: «**ألم يأنِ الرَّحيل**»، قلت: بلى: فارتحلنا[2].

---

(١) النص الأصل: «وأنا أنقض لك ما حولك» وغيَّرنا للتبسيط.
(٢) صحيح البخاري (جـ١، ص١٥١).

كنت في حظيرتي أثناء هذه الأحداث التي رواها الصديق أبو بكر ﷺ، وكان فارسي سراقةُ بن مالك جالسًا في مجلس من مجالس بني مدلج وهم أهله وقومه، فجاء رجل وسراقة جالس، فقال: يا سراقة! إني رأيت ركبًا يمشي قريبًا من الساحل، أراه أنه محمد وصاحبه أبو بكر الصديق - سكت سراقة وفكر في الجائزة التي رصدتها قريش لمن يعثر على محمد وهذه الجائزة الثمينة قدرها مئة ناقة.

أجاب سراقة على الرجل: بأن الذي رآهم ليسوا هُمْ محمد وصاحبه، ولكنه أضمر في نفسه أنهم حقًا هم محمد وصاحبه.

انتظرت أن يجيء سراقة ليركبني ويطارد محمدًا، ولكن طال الوقت حتى مضت ساعة، وبعد هذا الوقت سمعته يقول لجاريته أخرجي فرسي من وراء الدار، خفيةً، فجاءت الجارية وأخذتني فمشيت خلفها خائفًا، لم أصهل لأني عرفت أنَّه سر لسراقة.

ركبني سراقة، وانطلقت أعدو كالريح، وصار سراقة يحثني على السرعة أكثر وأكثر، فطويت الأرض طيًا، وكنت أركض بسرعة البرق.

شعرت أنني اقتربت من محمد ﷺ وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه لا أدري لماذا شعرت بالخوف وأنا أجري بسرعة وأقترب منهما بسرعة كبير، ولكن قدماي لم تعد قادرة على الجري كأن أحدًا يربطهما بوثاق.

وفجأة عثرت بسراقة، فوقعت على الأرض وقعة أزعجتني، ووقع سراقة على الأرض ثم قام.

علمت أن النبي ﷺ دعا أن تقف أرجلي وأقدامي عن الحركة، فوقفت ووقعت على الأرض، ولما وقعت كانت أقدامي كأنها مقيدة عن السير. سمعت سراقة يقول: يا محمد! ادع الله أن يطلق فرسي فاردّ عنك، فقال النبي ﷺ : «**اللهم إن كان صادقًا فأطلق له فرسه**».

شعرت أنني أستطيع المشي والركض بعد هذا الدعاء وعلمت أن النبي ﷺ محميٌّ من ربه سبحانه ـ عزَّ وجلَّ ـ.

ركبني سراقة مرة أُخرى، وسمع قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت إلينا، وأبو بكر رضي الله عنه يكثر الالتفات، وفجأة وجدت قدمي تغوص في الرمال، حتى بلغت الركبتين صهلت بأعلى صوتي، استغثت بسراقة، أقدامي تغوص الآن في الرمال، أُوشِكُ عليَّ الهلاك.

نزل سراقة عني، ثم زجرني فنهضت بعد أن نزعت قدماي من الرمل بصعوبة شديدة، وقد شعرت بآلام كثيرة في مفصل قدماي.

ولما استويت قائمة وجدت أثر قدماي غبار ساطع في السماء مثل الدخان، ووجدت سراقة ينظر في رماحه، يريد أن يقرع هل يواصل المطاردة أم لا، ثم ناداهم فجأة ـ يطلب الأمان منهم، فوقفوا فركبني سراقة وتقدم إليهم حتى

جـئناهـم، نظرت إلى الرسـول ﷺ مـرة ثم نظرت في الأرض لا أستطيع أن أحد النظر في وجـهه الكريم، صهلت أسـبح بحـمـد الله وأصلي وأسلم على رسـول الله ﷺ ، ولكن دعوني أصف لكم رسول الله ﷺ لقد كان:

ظاهر الوضـاءة، أبلج الوجـه «جمـيل الوجه»، حـسن الخُلق، لم تعبه ضـخامة البدن، وسيم قسيـم حسن جميل، في عينيه سواد جميل، وفـي شعر أجفانه طول، وفي صوته بحة وخشـونة، طويل العنق شديد سواد الشـعر، إذا صمت علاه الوقـار، وإذا تكلم علاه البهاء، أجـمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحسنهم وأحلاهم من قريب، ربعة لا طويل ولا قـصيـر، حلو الكلام والمنطق، كـان غصنًا بين غـصنين، له رفقاء يحفـون به، إذا قال استمعوا لقـوله، وإذا أمر أسرعوا إلى تنفيذ أمره»[1].

---

(١) من وصف أمّ معـبد للرسول ﷺ . انظر النـص في «زاد المعاد» جـ٢، وانظر «صحيح البخاري» (جـ١، ص٥٥٤).

عـرف سراقـة أن النبي ﷺ سينتـصر على أعـدائه، وسيظهر أمره لما رآه من حبسي عن السير وتقييد قدمي كلما اقتـربنا من رسـول الله ﷺ، فقال للـرسول ﷺ: إن قـومك قد جـعلوا فيك الدية، وأخـبرهم أخـبار مـا تريده قريش منهم، مـن القبض عليهم وإيذائهـم لقاء مئـة ناقة، وعـرض سراقـة عليهم الطعـام والماء وما يحـتاجـون، فلم يسـألاه، ولم يخـذلاه، وقـال له الرسـول ﷺ: «**أخفِ عنَّا**»، فسأله سراقة أن يكتب له كتـاب أمان، فأمر عامر بن فهيـرة فكتب له في رقعة كتاب أمـان، ثم مضى رسول الله ﷺ[1]، وقبل أن يركـبني سراقة لنـعود إلى مكة، هتف رسـول الله ﷺ قـائلاً: «**كـيف بِكَ إذا لبـست سِـواري كِسْرى**»؟!

(١) انظر «صحيح البخاري» (جـ١، ص٥٥٤).

رجعنا إلى مكة فوجدنا الناس يبحثون عن رسول الله ﷺ وصاحبه، فلم يفصح سراقة عن شيء، وصهلت فرحًا، وعلمت أن سراقة كتم السر وحافظ على العهد الأمان.

وظل سراقة يحفظ الكتاب الذي أعطاه له النبي ﷺ ويحافظ عليه، فلما فتح الله تعالى مكة، ركبني وأسرعت كالبرق أطوي الطريق طيًا حتى لقينا رسول الله ﷺ بالطريق، فدخل بي في خيل الأنصار، صهلت تحية لخيل المسلمين، فصهلوا بأحسن منها واقتربت بسراقة من ناقة رسول الله «القصواء» صهلت تحيةً للناقة فرغت مرَحِّبة بي وبمن أحمل على ظهري، وسمعت سراقة يقول يا رسول الله أنا سراقة بن مالك بن جُعْشَم، هذا كتابك لي يوم الهجرة، فقال رسول الله ﷺ : «**هذا يومُ وفاء وبر!! أُدْنُه**».

اقـتربت أيضًـا من رسـول الله ﷺ وسمـعت سراقـة يردد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنكَ رسول الله.

وسرت في الموكب العظيم، وأنا أتمايل من شدة الفرحة، وقـد ارتفعت رأس سـراقة عـاليـة مؤمنة، وعلت أصـوات المسلمين بالتكبـيـر وكنا نحن معـشر خـيل المسلمين نصـهل صهيـل النصر المبين، وسمعنا بالقـرب من رسول الله ﷺ يقول: «**قل جاء الحق وزهقَ الباطل إن الباطل كان زهوقا**».

وتردد في أرجـاء مكة، وفوق جـبالها أوديـتها كلـمات عظيمة من القرآن الكريم تقول: ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٣) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ (سورة الفتح: ١-٤).

مرت سنوات طويلة وأصبحت حصانًا عجوزًا، وفتح المسلمون بلاد فارس، وجاء إلى عمر بن الخطاب سواري كسرى ومنطقه (حزامه) وتاجه، دعا عمر بن الخطاب ﷺ سراقة بن مالك ﷺ فألبسه سواري كسرى قائلاً له: ارفع يديك، وقل: الله أكبر!! الحمد لله الذي سلبها كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي.

فردد سراقة قائلاً: الله أكبر، الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي!!

هذه قصتي مع سراقة بن مالك ﷺ وأرضاه.

نشاطات تعليمية

١ ـ من هو سراقة بن مالك؟

....

٢ ـ هل لحق بالرسول في الطريق؟

....

٣ ـ وماذا كان بينه وبين رسول الله ﷺ؟

....

٤ ـ هل أوفى سراقة بعهده مع النبي ﷺ؟

....

سلسلة
بطولات النبي ﷺ

أبو جهل عند الباب

عبد المنعم الهاشمي

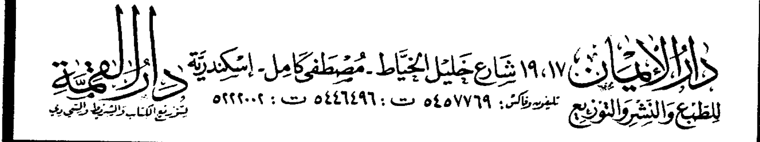


دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع
دار القمة

سلسلة
بطولات النبي ﷺ

أبو جهل
عند الباب





أبو جهل عند الباب

قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام: ١١٢).

أبو جهل عدو الله، وعدو الإسلام.

أبو جهل عدو النبي ﷺ، أبو جهل شيطان من شياطين الإنس، أراد إيذاء النبي ﷺ، ولكن الله أخزاه، أبو جهل من قبيلة قريش واسمه «عمرو بن هشام المخزومي»، عندما سمع بدين محمد ﷺ حَزِنَ حزنًا

شديدًا، لأن دعوة محمد ﷺ للإسلام سوف تقضي على الأصنام التي كان يعبدها أبو جهل وهي من الحجارة والخشب ولا تنفع ولا تضر.

خشي أبو جهل من دين محمد ﷺ، خاف أن يخسر مكانته بين العرب وقريش الذين كانوا يعبدون الأصنام.

قرَّر أبو جهل أن ينتقم من محمد ﷺ، وبدأ يعمل للقضاء على دينه ودعوته المباركة، امتلأ قلب أبي جهل حسدًا للنبي ﷺ الذي أصبح يشكل خطرًا على زعامته ورئاسته لقبيلة قريش، فقد كان من أعيانها ورؤسائها.

وحقد أبو جهل على محمد حقدًا شديدًا، فكان من أوائل المعارضين لدعوة النبي ﷺ، فسخر منها، وتهكم بصاحبها، ونعته بالسحر والسَّفه والجنون.

وكــان أشد مــا يغيظه من رســول الله ﷺ أنّه لا يزال يدعــوه إلى الإســلام وإلى اتباع هذا الديــن، وكان الرســول ﷺ يحضه ويدعوه ويرغّبــه بكلام طيب وبحديث جميل، ولكنه كان كلما سمع ذلك يزداد نفورًا وحقدًا.

وفي يوم من الأيام خرج أبو جهل من بيتــه ومعه صديق له من الطائف يقال له «المغيرة بن شُعــبةَ»، ومشيا في شوارع مكة يريدان شــيـئًــا، فلقيــهــمــا النبي ﷺ فــوقف وسلم عليهــما، وابتسم في وجــههما، ثم قــال لأبي جهل: «**يا أبا الحكم هَلُمَّ**[1] **إلى الله وإلى رسوله، وإلى كتابه، أدعوك إلى الله**».

عندئذ غــضب أبو جهل غــضبًــا شديدًا، وتلون وجــهه بألوان الحقد والشر، وقال للنبي ﷺ: يا محمد، هل أنت

---

(١) هَلُمَّ: تعال.

منتـه عن سب آلهتنا؟ ـ يريد بآلهـته الأصنام، ويحـذر النبي ﷺ من سب هذه الأحـجـار والأخـشـاب والأصنام التي يعبدها عن آبائه وأجداده ـ.

ثم أكمـل أبو جهل حديثـه في تحدٍ شـديد للنبي ﷺ فقال: «هل تريد أن نشهد أنك قد بلغت دينك، فنحن نشهد أنك بلغـتنا وقلـت لنا، ولو أني أعلم أن مـا تقـوله حق وصحيح لاتبعتك»!!

ترك رسـول الله ﷺ أبا جهل وانصـرف حزينًا عليـه وعلى صاحبه لإعراضهما عن دينه وعدم الاستجابة له.

وبدأت الدعوة الإسـلاميـة تنتشر، وأخـذ عدد رجـالها يزدادون يومًا بعـد يوم، وازداد أبو جهل حسدًا وحـقدًا على النبي ﷺ صاحب هذه الدعـوة المباركة، وأخـذ أبو جهل

يقابل النبي ﷺ بالسخرية، ثم تدرج من السخرية إلى الشتائم، لكن النبي ﷺ كان يعرض عنه ويتركه، إلَّا أن النبي ﷺ ، ولكثرة ما لقي من هذا الرجل من سفاهة وأذى، أطلق عليه لقب «أبي جهل» بعد أن كان معروفًا باسم «أبي الحكم بن هشام المخزومي» فصار معروفًا بهذا الاسم «أبو جهل» بين المسلمين لا يسمونه إلا به.

وفي يوم من الأيام لقي أبو جهل النبي ﷺ عند جبل الصفا فنظر حواليه فلم يَرَ أحدًا، فأقبل على النبي ﷺ وجعل يشتمه شتائم مقذعة فيها سفاهة، والنبي ﷺ معرض عنه لا يجيبه أبدًا ولا يرد عليه، بل لقد انصرف عنه وتركه يردد الشتائم ويهذي بها، وسمعت الشتائم امرأة كانت تعمل في بيت عبد الله بن جدعان وهو من زعماء قريش.

أشفقت المرأة على النبي ﷺ، وحزنت على هذا الرجل الكريم الذي عُرف بالصادق الأمين، وأحبه أهل مكة جميعًا لخلقهِ العظيم.

وفيما هي على هذه الحال أقبل حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وكان قادمًا من رحلة صيد في الصحراء، فنادته المرأة قائلة: يا أبا عمارة . . يا أبا عمارة ـ وكان هذا لقبه ـ، فأقبل حمزة نحوها يريد أن يعلم ما شأنها، فقالت له بصوت حزين: «لو رأيت يا أبا عمارة ما لقي ابن أخيك محمد من أبي الحكم بن هشام «أبو جهل» لقد وجده هنا جالسًا، فآذاه وسبَّه وبلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه محمد ولم يكلمه».

غضب حمزة غضبًا شديدًا، وحَزِنَ لما أصاب ابن أخيه محمد من أبي جهل، فمشى مسرعًا يبحث عن أبي جهل

ليلقنه درسًا لن ينساه دخل حمزة الكعبة، فنظر بين الناس فرأى أبو جهل جالسًا في حلقة قومه، فأقبل نحوه حتى إذا وقف إلى جانبه فرفع رمحه وضربه بها، فشجه وأصابه إصابة شديدة، وقال له: «أتشتم محمدًا وأنا على دينه، أقول ما يقول؟! رُدَّ عليَّ الضربة إن استطعت!!».

عندئذ قام رجال من بني مخزوم يريدون الثأر لقريبهم أبي جهل فقال أبو جهل: «دعوا أبا عمارةَ فإني - والله - قد سببتُ ابن أخيه سبًا قبيحًا».

وأخزى الله أبا جهل، وأصابته إهانة كبيرة بسبب محمد رسول الله ﷺ، وتحدث أهل مكة بما جرى له مع حمزة عم النبي ﷺ فازداد حقده على النبي ﷺ، ونصب له العداوة أكثر من ذي قبل، وأهمه وأحزنه أن دعوة الإسلام

قد أعزهـا الله بفارس همام، وبطل شجـاع يستطيع أن يقف إلى جوار محـمد مهما كانـت الصعاب، وهذا البطل هو أبو عمارة حمـزة بن عبد المطلب ﷺ، عم النبي ﷺ ، وكان حمزة قبلها ليس على دين ابن أخيه محمد ﷺ .

ومضت مدة على ذلك الموقف الذي أَحسَّ فيه أبو جهل بالإهانة من جـراء عداوته لمحمد ﷺ ، فقد لحـق به العـار ـ عار الإهانة في الكعبة وأمام الناس جميعًا ـ.

وذات يوم قَدِمَ رجل من قبيلة أراشة وكان معه إبل يتاجر منها يبيع ويشـتري، فاشترى مـنه أبو جهل عددًا من الإبل، ووعده أن يدفع ثمنها في العام القادم، ولكنه ماطل الأراشي بأثمان هذه الإبل ولم يدفع له حقـها، وقد أصابت الأراشي مشقـة وتعب من المماطلة وملاحقـة أبي جهل، وهو لا يريد أن يدفع له حقها. وذات يوم وبعد أن يأس الأراشي من أبي

جـهل ومماطلتـه جـاء إلى مكة حـتى وصل إلى نادٍ لقـريش يجلس فيه رجالها وزعمـاؤهما، وكان رسول الله جالسًا في ناحية المسجد «الكعبة».

فقال الأراشي: «يا معـشر قريش، من رجل يعينني على أبي الحكم بن هشام «أبي جـهل»؟ فإني غريب وابن سـبيل، وقـد غلبني على حـقي فأخـذ مني الإبل ومـاطلني في دفع أثمانها.

تبسـم هؤلاء القوم المسـتهزئـين في خبث ولؤم وحـقد، ونظروا فـرأوا رسـول الله ﷺ جـالسـًا هناك في ناحـيـة الكعبـة يسبح بحمـد ربِّه، فقالوا للأراشي: أترى هذا الرجل - وأشاروا للنبي ﷺ -، اذهب إليه فهـو يعينك على قضاء حاجتك!!

وقد قصد الكفار بالرسول ﷺ سوءًا، فهم يعلمون أن أبا جهل يؤذيه، فظنوا أنهم بهذا العمل قد أحرجوا رسول الله ﷺ ووضعوه أمام عدوه اللعين كي يسخر منه، ولربما ظنوا أن رسول الله ﷺ يخاف أبا جهل وبطشه، وبالتالي فإنه قد يرفض طلب هذا الرجل فيقال: إن محمدًا ضعيف بين أهله وقومه.

في هذه الأثناء أقبل الأراشي حتى وقف على رسول الله ﷺ فذكر له ما يريد، فقام معه الرسول ﷺ على الفور.

فلما رآه كفار قريش يقوم مع الأراشي ويمضي معه إلى أبي جهل ليعينه على قضاء حقه منه، قالوا لرجل من رجالهم: اتبعه وانظر ماذا يصنع مع أبي جهل!!

وخرج رسول الله ﷺ حتى جاء دار أبي جهل فضرب عليه بابه.

فقال: من بالباب؟

فأجابه النبي ﷺ: «**محمد، فاخرج إليَّ**».

وسرى الرعب والخوف في كيان أبي جهل فور سماعه صوت النبي ﷺ واسمه، وخرج إليه مرتبكًا خائفًا ما فيه من بقية روح من شدة الخوف الذي أصابه، وقد تغير لونه.

فقال له النبي ﷺ: «**اعط هذا حقه**».

فأجاب على الفور: نعم، لا تبرح حتى أُعطيه الذي له!! فدخل ثم خرج إليه بحقه من أموال فدفعها إليه.

وأقبل الأراشي على جمع من كفار قريش وقد بدا على وجهه السرور يريد أن يشكرهم على أن دلّوه على هذا الرجل

العظيم الذي حصَّل له حقه وبادرهم قائلاً: جزاه الله خيرًا - والله - أخذ لي بحقي!!».

ودهش القوم، ونظر بعضهم إلى بعض، يقلبون الأمر في عجب ودهشة وهم يقولون: أهذا هو أبو جهل الذي يطارد محمدًا في كل مكان ويؤذيه بالقول والفعل بالسب والإيذاء.

وزادت دهشتهم مما جرى، وقال كافر منهم: واللات والعزى ما رأينا مثل هذا، ولا سمعنا به، ماذا دهى أبا الحكم (أبو جهل) لقد أصابه شيء، وفيما هم يدهشون ويعجبون جاء الرجل الذي بعثوه ليشهد ما يكون من أمر أبي جهل مع النبي ﷺ فقالوا: ماذا رأيت؟

فقال: رأيت والله عـجبًا من العجـب!! فوالله ما هو إلا أن ضرب عليـه بابه، حتى خرج إليـه وما معـه روحه من الخوف، فقال محمـد: أعطِ هذا حقه، فأجابه: نعم، لا تبرح حتـى أخرج إليه حقه، فـدخل فخرج إليه بـحقه فأعطاه إياه.

وفيـما هم في مجلسـهم هذا إذ بأبي جهل يقـبل عليهم ساهمًا مطأطئ الرأس، وكأنما جاء ليعتذر عما جرى منه.

فقـالوا: ويلك، مالك، وماذا دهاك، والله مـا رأينا مثل ما صنعته قط؟!!

فأجابهم: ويحكم، والله مـا هو إلا أن ضرب على بابي فسمعت صوته، حتى مُلئت رعبًا، ثم خرجت إليه وإن فوق

رأسي لفحلاً من الإبل ما رأيت مثل هامته (رأسه) ولا عنقه، ولا أنيابه لفحلٍ قط، والله لو أبيت لأكلني!!.

ضحك القوم وسخروا وقالوا: يا أبا الحكم قد - والله - غلبك محمد بسحره!!

ولكن حاشى لله أن يكون محمد ساحرًا ولكنه كان نبيًا ورسولاً شجاعًا وبطلاً ﷺ.



سلسلة

بطولات النبي ﷺ

أنا النبي ﷺ لا كذب

عبد المنعم الهاشمي

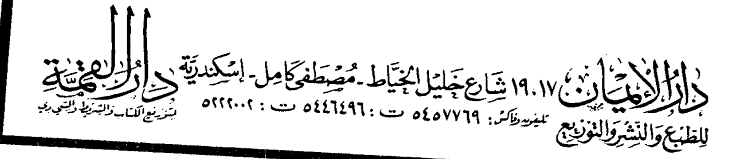




سلسلة
بطولات النبي ﷺ

أنا النبي لا كذب





أنا النبي لا كذب

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (سورة التوبة: ٢٥-٢٦).

١ ـ الرسول ﷺ في مكة:

كان فتـح مكة يومًا عظيمًا، فـقد أسلم أبو سفيـان قبل دخول جيش المسلمين مكة.

وكان خـروج الرسول ﷺ لفـتح مكة سرًا حـتى عن أصـحابه حـتى قال ﷺ يدعـو الله: «**اللهم خذ العيـون**

والأخبار عن قريش حتى نبغتها»، أي نفاجئ قريشًا في بلادها . . وتجهز الناس، وخرج الرسول ﷺ قاصدًا مكة،وكان ذلك في العاشر من رمضان من السنة الثامنة الهجرية، وصام الرسول ﷺ في ذلك اليوم وصام الناس معه، ثم أفطر وهو يجدُّ في السير مع أصحابه إلى مكة، واستمر في سيره ومعه عشرة آلاف من المسلمين، وقريش لا تعلم شيئًا.

وفي الطريق أسلم أبو سفيان، وأمر الرسول ﷺ مناديًا ينادي: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن.

واقترب الموكب المهيب من أم القرى ورسول الله على ناقته متعممًا متواضعًا لله سبحانه وتعالى، وأصحابه يحيطون به من كل صوب، وهو يحمد الله على ما أكرمه به من الفتح.

وكان على راحلته بالكعبة وحطم الأصنام وراح يقول ﷺ : «**جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا**».

ثم يقول: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**».

ثم حطم الأصنام، ونظف الكعبة من دنسها، ثم اتجه إلى الناس يقول: «**يا معشر قريش، ما ترون أني فاعل فيكم؟**».

قالوا: خيرًا: أخ كريم وابن أخ كريم.

فقال ﷺ : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وعاد المهاجرون إلى موطنهم ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

٢ ـ مالك بن عوف والمؤامرة:

ولم يكد الرسول ﷺ يقضي خمسة عشر يومًا بمكة حتى عَلِمَ باستقرار قبيلة هوازن وثقيف لمحاربته وعلى رأسهم مالك بن عوف ذلك الرجل الذي جمع المال والرجال والنساء والأطفال خلف جنوده حتى يمنعهم من الهرب والفرار ونزل عند حنين.

ولكن كيف كان ذلك؟ لنتابع أحداث وبطولات النبي ﷺ منذ بداية الأحداث.

جمع مالك بن عوف قبيلة هوازن حينما سَمِعَ بأن الرسول ﷺ فتح مكة وانتصر على قريش ودخل الناس في دين الله أفواجا، جمع قبيلة هوازن ومعهم ثقيف كلها وقبائل كثيرة انضمت إليه، وكانت هذه القبائل تعادي الإسلام

والنبي ﷺ، وتريد القضاء عليه، وجهز مالك بن عوف جيشًا كبيرًا ومعهم النساء والأطفال والأموال كل هذا خلف الجيش.

ولما سُئِلَ مالك عن سر وجود الأطفال والنساء قال: أردت أن أجعل خلاف كل رَجُلٍ منهم أهله وماله ليقاتل عنهم.

ولما سمع رسول الله ﷺ بخروجهم بعث إليهم رجلاً يسمى عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ليعرف أخبارهم ويأتيه بها.

ونفَّذَ هذا الرجل أمر رسول الله ﷺ له على أحسن وجه، فتسلل إليهم وأقام بينهم أيّامًا وعلم ما جمعوا أنفسهم عليه، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فأخبره أخبارهم.

استعد رسول الله ﷺ وأجمع على السير إلى هؤلاء الأعداء هوازن وحليفاتها، ليلقاهم ويتصدى لهم، وأخذ من صفوان بن أمية أدراعًا وسلاحًا كانت عنده ويقال إنه اشترى منه مائة درع[1].

خرج رسول الله ﷺ في جيش قوامه اثنا عشر ألفًا من أصحابه الذين خرجوا معه، ففتح الله بهم وأعزهم جميعًا وجعل - عليه السلام - رجلاً من بني أُمية هو عتاب ابن أُسيد أميرًا على مكة ثم مضى ﷺ يريد لقاء هوازن.

وانطلق الركب إلى وادي حنين، وهو واد من أودية تهامة، وهذا الوادي أجوف منحدر بين جبلين، وكان الكفار من هوازن وثقيف قد سبقوا إلى الوادي واختار أميرهم مالك

---

(١) السيرة لابن هشام.

ابن عوف في هذه المعركة أرضًا جبلية بها مرتفعات تحيط بها ولها مسالك ولا يعرفها أغلب المسلمين ولا يجيدون القتال فيها.. وعسكر مالك بن عوف خلف الشعاب والجبال وجنودُه يطلّون ويشرفون على الطرق التي سيمر منها جيش المسلمين، لأن جيش المسلمين سيمر حتمًا من بينهم فينقضون عليه من اليمين ومن الشمال على حين غرة، وبهذه المفاجأة ظنوا أنهم سيقضون على جيش النبي ﷺ واستعدت هوازن وحليفاتها ثقيف وغيرها.

واقترب جيش المسلمين من الوادي، وبدأت قوافل جيش المسلمين تمر بين الشعاب الضيقة بجبال تهامة وكان الزهو يبدو عليهم، وقد ظنوا أن عددهم كبير فأعجبتهم كثرتهم.

وفي هذه الحظات انقض رجال مالك بن عوف وهوازن على جيش المسلمين وخرجوا من أماكنهم فجأة ـ من خلف

الشعاب وخلف الجبال على جانبي الوادي الذي يمر فيه جيش المسلمين المتقدم بغير حذر أو حرص أو احتراز لمثل هذا، وفوجئ المسلمون بالضرب ينصبُّ عليهم انصبابًا من كل جانب، وانقض عليهم رجال مالك فحصدوا منهم الأبطال حصدًا فاضطربوا وارتبكوا وتفرقت جموعهم وغلبوا على أمرهم، وولَّوا مقهقرين وهم في دهشة مما رأوا أمامهم.

وفي ذلك أنزل الله قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ** ﴾ (سورة التوبة: ٢٥).

عندئذ وقف رسول الله ﷺ كالطود الشامخ، لا تهزه الشدائد والصعاب، ولا تزعزعه الرياح، ووقف معه جماعة من أصحابه من المهاجرين والأنصار ومن بينهم العباس بن

عبد المطلب عمُّ النبي ﷺ، وانحاز الرسول ﷺ إلى جهة اليمين، ثم نادى قائلاً: «**أيها الناس، هلموا إليَّ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله**».

فجاءه الأبطال من المهاجرين والأنصار رضوان الله عليهم جميعًا.

وعمَّت الشماتة والحقد في نفوس الكفار وظنّوا بأنفسهم النصر، فصرخ أحدهم يقول: ألا بَطُلَ السحرُ اليوم!!

وقال رجل آخر وهو شيبة بن عثمان: اليوم أدرك ثأري من محمد، اليوم أقتل محمدًا.

ولما توجه الرجل إلى رسول الله ﷺ لتنفيذ وعيده وتهديده، قال يصف ما حدث له عندما هَمَّ بإيذاء النبي ﷺ قال الرجل بنفسه يحكي ما رآه وما شعر به: «فأقبل

شيء حتى قبض قلبي فلم أطق ذاك وعلمت أن محمدًا ممنوع ـ أي محمي من الله ومعصوم به».

وقد أراد الله سبحانه ـ عزَّ وجلَّ ـ لجنده النصر والعزة ووقف مع الرسـول جـمـاعة من المـهاجـرين والأنصـار ووقـفوا وقـفة اسـتعـداد للذود والدفاع عن رسـول الله ﷺ حتى الموت.

«أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب»

وظهرت بطولة النبي ﷺ وشـجاعته التي يضـرب بها المثل فقد جعل يركز بغلتـه ويتقدم تجاه الكفار وهو يقول في صوت حـاسم شجاع ارتعد منه الأعـداء، وجلجل في آفاق المعركة في قوة وجرأة وبطولة، فقد هتف يقول: «**أنا النبي لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب**».

وتقدم مسرعًا إلاَّ أن أبا سفيــان بن الحارث ومعه العباس ابن عبــد المطلب أخذا بركاب البــغلة حتى لا تســرع، خوفــًا عليه ﷺ، فنزل ﷺ عن بغلته واتجـه بالدعـاء إلى ربـه ـ عزَّ وجلَّ، قائلاً: «**اللهم انزل نصرك**».

ثم أمر ﷺ عمه العباس رضي الله عنه، وكان جَهْوَرِيَّ الصوت أمره أن ينادي أصحابه ـ ترى ما الذي قال العباس؟

نادى العباس بأعلى صوت: يا أصحاب السمرة. فأجابه المسلمــون بصوت واحد اخــترق عنان الــسماء: «يا لبــيك يا لبيك»[١].

ثم نادى العباس: يا مــعشر الأنصار، يا معــشر الأنصار فتلاحقت كتائب المسلمين واشتبكوا في قتال عنيف مع جيش

---

(١) صحيح مسلم (٢/ ١١٠).

العدو، ونظر رسول الله ﷺ إلى ساحة القتال فقال: «**الآن حمي الوطيس** - أي اشتد القتال -».

ثم أخذ ﷺ قبضة من تراب الأرض فرمى بها في وجوه القوم، وقال: «**شاهت الوجوه**»، فما خلق الله إنسانًا إلا مُلأت عيناه ترابًا من تلك القبضة.

فانحسر بأسهم، وتراجع فرسانهم، وما هي إلا ساعات قليلة حتى انهزم الأعداء هزيمة منكرة، وقتل نحو السبعين، وحاز المسلمون ما مع أعدائهم من مال وسلاح وإبل وماشية، وأنزل الله سكينته على رسول الله ﷺ وعلى المسلمين، وأنزل الملائكة تقاتل معهم كما جاء في الآية الكريمة: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾ (سورة التوبة: ٢٦).

ثم أنزل الله سكينتـه واطمـئنانه وجنودًا لا تراهـا عيـون الإنسان فانقلب المسلمون من مـدافعين إلى مهاجمين، ونظر فـارس من فرســان الإســلام، وهو علي بن أبي طالب ﷺ فرأى حـامل الراية راية الكفار يتـقدم، فـانطلق نحوه وعـقر ناقته بضربة من رمحه فهوت راية الكفر والكفار على الأرض ثم قُتِلَ حاملها.

فلمـا انهـزم صـاحب الراية، هاجم المسلمـون وقـاتلوا بشجاعة المؤمنين وانتصروا بإرادة الله - عزَّ وجلَّ - يوم حنين، وانهزمت هوازن.

ومازالت بطولة النبي ﷺ تعدُّ قدوة لنا جميعًا، فلنكن أبطالاً شجعانًا مثله ﷺ.

نشاطات تعليمية

١ ـ متى تم فتح مكة؟

....

٢ ـ ماذا تعرف عن مالك بن عوف؟

....

٣ ـ ما سبب غزوة (حنين)؟

....

٤ ـ ما دور «عبد الله بن أبي حدرد» في المعركة؟

....

٥ ـ «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب» ما مناسبة هذه المقولة الكريمة؟

....

سلسلة
بطولات النبي ﷺ



عبد المنعم الهاشمي

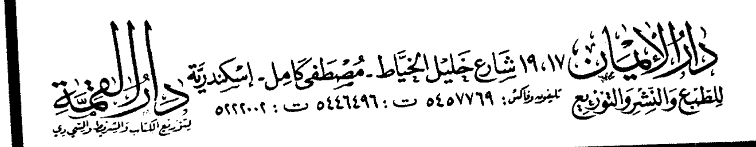




سلسلة
بطولات النبي ﷺ







(حَجَرٌ) ابن حجاش

- اخرجوا من بلادي.
- لقد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما هممتم به.
- لقد حللتكم عشراً.
- فمن رُئي بعد ذلك ضربت عنقه.

(محمد رسول الله ﷺ ليهود بني النضير)

هذه الكلمات قالها رسول الله ﷺ لبني النضير ترى لماذا قال لهم اخرجوا من بلادي؟

وما العهد الذي نقضوه وخانوه فجعل رسول الله يغضب منهم كل هذا الغضب؟

ولماذا أجَّلَهُم عشرة أيام فقط ليخرجوا من بلاد المسلمين؟

وماذا فعل ابن حجاش اليهودي؟

وما هي الخيانة التي ارتكبها في حق رسول الله والمسلمين؟

ذلك كله سنعرفه في قصتنا هذه وسيحكيها لنا الحجر، إن كان ينطق!!

عمرو بن حجاش رجل خائن من يهود المدينة، وأنا حجر أسبح بحمد ربي لأن الجبال التي اقتطعت منها تسبح لله سبحانه - عزَّ وجلَّ -.

ولتسمحوا لي أن أحكي لكم قصتي، فقد حاول هذا اليهودي أن يستخدمني للفتك برسول الله ﷺ.

كنت حجرًا ساكنًا في جدار بيت هذا اليهودي عمرو بن حجاش وعلمت أنه يوم معركة بئر معونة أو يوم القراء الذين قتلوا غدرًا وخيانة، ونجا منهم عمرو بن أمية الضمري وعاد

يبلغ الرسـول ﷺ النبأ، وفـي الطريق وقبل أن يعـود إلى المدينة نزل عـمرو بن أمـية الضـمري في ظل شـجرة وجـاء رجلان من بني كُلاب، فلما ناما فتك بهما، ظنًّا منه أنه أخذ بثأر أصحـابه، ولكن الرجلان كانا من بني عـامر، وكان بنو عامر قـد أخذوا من الرسول ﷺ عهـدًا بالأمان، لم يكن يعرفه عـمرو بن أُمية الضـمري، فلما جاء إلى المديـنة أخبر الرسـول ﷺ بما فـعل، فقـال ﷺ : **«بئس ما صنعت، قتلت رجلين كانا لهما فيَّ أمان وجوار»**.

وأرسل عـامـر بن الطفـيل يطلب ديَّـة هذين الرجلين، فخـرج الرسول ﷺ في عشرة من أصـحابه هم: أبو بكر وعمـر، وعثمان وعلي، وطلـحة وعبد الرحـمن بن عوف، وسعد بن عبادة، قـاصدًا ﷺ بني النضير وهم خلفاء بني عامر، يستعين بهم ويطلب مساعدتهم في دية الرجلين.

سمعت دبيب القوم خارج المنزل، فأنا حجر كامن لا أتحرك، وتذكرت أن اليهود كانوا يتآمرون على الإسلام، لكني أعرف أنهم لم يكونوا أصحاب حرب وضرب، بل كانوا أصحاب دسٍّ ومؤامرات، فكانوا يجاهرون بالحقد والعداوة للإسلام، ويختارون أنواعًا من الحيل لإيقاع الإيذاء بالمسلمين دون أن يقوموا للقتال مع ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود ومواثيق.

وبعد وقعة أُحد تجرأوا، وبدأت أصواتهم تعلو بالخيانة والغدر فكاشفوا المسلمين بالعداوة، وأخذوا يتصلون بالمنافقين والمشركين من أهل مكة سرًا، ويعملون لصالحهم ضد المسلمين ومنهم بنو النضير، وبنو النضير قبيلة من قبائل اليهود، وفي المدينة عاهدوا الرسول ﷺ على عدم الاعتداء، وعدم نصر عدو له على الإسلام، وكانوا يسكنون في ضاحية بأطراف المدينة، وكنت حجرًا في بيت عمرو بن حجاش الخائن.

وكانت ضاحيتهم في المدينة بها خضرة ونخيل وماء تسمى منطقة العـوالي، وقد مضى على عهـدهم مع الرسول ﷺ أربع سنوات كاملة قبل أن يحدث ما حدث في هذا اليوم.

يوم بني النضيـر كنت أطرق السمع وأنا حـجر لا أتكلم ولا أسمـع ولكني أسوق الحكاية لكم، وعلمت أن الـرسول ﷺ يجلس خارج الباب ومعه أصحابه وسمعت أصواتهم وهم يرحـبِّـون بالرسـول ﷺ قـائلين: نعم يا أبا القـاسم نعينك ما أحببت، مما استعنت به علينا.

سألت نفـسي ترى من صاحب هذا الصوت من اليـهود وعلمت أنـه المنافق حـيـي بن أخطب، وعـرفت أيـضًـا أن الرسول ﷺ كلَّمَهُمْ أن يعـينوه ويساعدوه في دية الرجلين اللذين قتلهـما عمرو بـن أُمية الضمـري - وكان ذلك يجب عليهم حسب بنود المعاهدة بين النبي ﷺ وبينهم، فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، اجلس ها هنا حتى نقضي حاجتك.

فـجلس إلى جنب جـدار من بيـوتهم ينتظر وفـاءهم بما وعـدوا، وجلس مـعـه أبو بكر وعـمـر وعلي وطائفـة من أصحابه.

وخلا اليـهود بعـضهم إلى بعض، وسول لهـم الشيطان الذي كـتب عليهم، كـانوا يتهـامسـون ـ أشار أحـدهم إليَّ فانزعـجت عندما سـمعـته يقـول: أيكم يأخذ هذا الحـجر، ويصعد فوق سطح هذا المنزل فليلقـه على رأسه يشدخه بها، فنقضي عليه.

فقال أشقاهم عمرو بن حجاش: أنـا.

فقال لهم رجل منهم اسمـه سلاّم بن مشكم: لا تفعلوا فوالله ليخبرن ويعلمن بما هممتم به، وإنَّه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه.

ولكنهم أصـروا على العـدوان، وعزمـوا على الغـدر، فـامتـدت يدي عمـرو بن حجـاش إلي ورفـعني بعنف وبدأ

يصعد سُلَّم داره، كنت أود أن أتحرك وأهرب حتى لا أؤذي النبي ﷺ ولكن الله كان منجيه وحاميه، فقد سمعت أصواتًا تنادي عمرو بن حجاش: بأن محمدًا قد نهض مسرعًا وتوجه إلى المدينة، وعلمت أن جبريل عليه السلام نزل من عند رب العالمين على رسوله الأمين ﷺ يعلمه بما هموا به، فنهض مسرعًا إلى المدينة ولحقه أصحابه، فقالوا: نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما همَّت به اليهود.

عاد الرسول ﷺ إلى المدينة وتشاور مع أصحابه ثم أرسل محمد بن مسلمة إلى بني النضير يقول لهم: «**اخرجوا من المدينة ولا تساكنوني بها، وقد أجلتكم عشراً، فمن وجدت بعد ذلك ضربت عنقه**».

ولم يجد يهود بني النضير مفرًا من تنفيذ هذا الإنذار والخروج كما أمرهم الرسول ﷺ، فأقاموا أيامًا يتجهزون للرحيل من المدينة خوفًا وجبنًا، لأنهم جبناء يخافون.

لكن رئيس المنافقين - عبد الله بن أُبي - بعث إليهم وقال لهم: «اثبتوا وتمنعوا، فإنا لن نسلمكم، إن قوتلتم قاتلنا معكم».

وكان كاذبًا ومنافقًا حتى في حديثه مع هؤلاء، وقد تحدث القرآن على كذب هذا الرجل المنافق، بأن لن يخرج معهم ولن يقاتل معهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ**﴾ (سورة الحشر: ١١).

قال لهم عبد الله بن أُبَيٍّ كذبًا: «لا تخرجوا من دياركم، فإن معي ألفين يدخلون معكم حصنكم فيموتون دونكم».

وكان كاذبًا منافقًا ففضحه القرآن في سورة الحشر التي نزلت في هؤلاء، حتى إن بعض الصحابة كان يقول عن

سورة الحشر في القرآن سورة بني النضير[1]؛ لأنها فضحتهم وفضحت نفاقهم وكذبهم فقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ** ﴾ (سورة الحشر: ١٢).

ولما سمع يهود بني النضير حديث المنافق عبد الله بن أُبي عادت إليهم ثقتهم، واستقر رأيهم على المناوأة، وطمع رئيسهم حيي بن أخطب فيما قاله رأس المنافقين، فبعث إلى رسول الله ﷺ متحديًا وهو يقول: إنا لا نخرج من ديارنا، فاصنع ما بدا لك.

فلما بلغ رسول الله ﷺ جواب حيي بن أخطب كبَّر وكبَّر أصحابه، ثم نهض لمحاربة القوم، فاستعمل على المدينة صاحبه عبد الله بن أُم مكتوم وسار إليهم، علي بن أبي

---

(١) قول ابن عباس، وانظر: «سيرة ابن هشام» (جـ٢، ص١٩٠)، و«زاد المعاد» (٢/ ٧١، ١١٠)، و«صحيح البخاري» (٢/ ٥٧٤-٥٧٥).

طالب يحمل اللواء، فلما انتهى إليـهم فرض عليهم الحصار والتجأ بنو الـنضير إلى حصونهم يجـتمعون بنا نحن مـعشر الحـجـارة، فصـعـدوا من فـوقـها يـرمون المسـلمين بالنبل والحجـارة، وكانت نخـيلهم وبساتينهم عـونًا لهم في ذلك، فأمر النبي ﷺ بقطعها وتحريـقها، وهذه النخيل والبساتين كانت تـسمى البويـرة ولذلك أنشد حـسان بن ثابت شـاعر الرسول ﷺ يقول:

وهان على سَرَاةِ[1] بني لُؤيٍّ ••• حريق بالبويرة مستطير

ولما علت النيـرات تحـرق النخـيل قـذف الله في قلوبهم الرُّعب وحـبهم للـمال جـعلهم يقـولون بصوت عـال: «يا محـمد، قد كنت تنهى عن الفـساد، وتعيبـه على من صنعه فما بال قطع النخل وتحريقها؟».

---

(١) سراة: بمعنى أشراف.

أروادوا أن يستدروا عطف المسلمين، ولما تأثر المسلمون بهذا الكلام نزلت الآية الكريمة: ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ (سورة الحشر: ٥-٦).

واعتزلتهم قريظة وهم بنو عمومتهم من اليهود، وخانهم عبد الله بن أبي وحلفاؤهم من غطفان، فلم يحاول أحد أن يسوق لهم خيرًا، أو يدفع عنهم شرًا.

ولم يطل الحصار، فقد دام ست ليال فقط، ويقول البعض خمس عشرة ليلة - حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، فاندحروا وتهيأوا لإلقاء السلاح، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: نحن نخرج من المدينة، فأنزلهم على أن يخرجوا عنها بنفوسهم ودمائهم.

وقال ﷺ : «**لكم دماؤكم وما حملت الإبل**».

فوافقوا على ذلك، وخربوا بيوتهم بأيديهم، ليحملوا الأبواب والشبابيك، حتى حمل بعضهم الأوتاد وجذوع السقف.

ثم حملوا النساء والصبيان، وتحملوا على ستمائة بعير، فترجل أكثرهم وأكابرهم كحيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق إلى خيبر، وذهبت طائفة منهم إلى الشام، وأسلم منهم رجلان فقط هما: يامين بن عمرو، وأبو سعد بن وهب فأخذا أموالهما.

وأخذ رسول الله ﷺ سلاح بني النضير، واستولى على أرضهم وديارهم وأموالهم، فوجد من السلاح خمسين درعًا، وثلاثمائة وأربعين سيفًا، وكانت أموال بني النضير وأرضهم وديارهم خالصة لرسول الله ﷺ، يضعها حيث يشاء، وقسمها بين المهاجرين الأولين خاصة لأنهم تركوا

أموالهم في مكة وهاجروا في سبيل دينهم، وأعطى أبا دجانة الأنصاري وسهل بن حنيف الأنصاريين لأنهما كانا فقراء.

وكان ﷺ ينفق من هذه الأموال على أهله نفقة سنة، ثم ينفق ما بقي على السلاح والخيل والإبل ليعد العدَّة في سبيل الله.

وكانت غزوة بني النضير في ربيع الأول سنة ٤هـ وأنزل الله في هذه الغزوة سورة الحشر كاملة، فوصف طرد اليهود، وفضح مسالك المنافقين، وأثنى على المهاجرين وكذلك الأنصار.

أما أنا فمكثت صامتًا كصمت الحجارة، وصاحبي عمرو ابن حجاش انهزم هزيمة نكرًا، وبقيت دعوة النبي ﷺ قائمة عزيزة منتصرة إلى يوم الدين لن يمنع مسيرتها حجر بن حجاش ولا عبد الله بن أُبي المنافق الكبير ولا أتباعه من المنافقين.

نشاطات تعليمية

١ ـ لماذا خرج الرسول ﷺ إلى بني النضير؟

....

٢ ـ ما هي مؤامرة اليهود التي أرادوا القيام بها؟

....

٣ ـ من الذي أبلغ الرسول ﷺ بمؤامرتهم؟

....

٤ ـ من هو القائد المسلم الذي أرسله النبي ﷺ لإنذارهم؟

....

٥ ـ اكتب في هذا المستطيل رسالة الرسول ﷺ ليهود بني النضير؟

....

....

....

سلسلة

بطولات النبي ﷺ

الرسول ﷺ وملك اليمامة

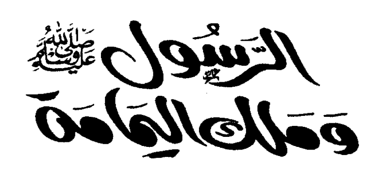
عبد المنعم الهاشمي



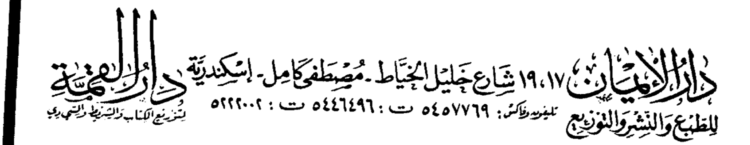


سلسلة

بطولات النبي ﷺ







الرسول ﷺ وملك اليمامة

(سيف ثمامة بن آثال)[1]

قال تعالى: ﴿ حم (١) تنزيلُ الْكتاب من اللَّه الْعزيز الْعليم (٢) غافر الذَّنب وقابل التَّوْب شديد الْعقاب ذي الطَّوْل لا إلَه إلاَّ هُوَ إلَيْه الْمَصيرُ ﴾ (سورة غافر: ١-٣).

تعرض الرسول ﷺ لمكر الماكرين، وخديعة المشركين، فحاكـوا المؤامرات ضده، حتى فكَّروا في اغتـياله والنيل منه ﷺ ولكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عصمه وحماه ومنعه، عصمه من الكافرين وحماه من كيدهم ومنعه من بطشهم.

وقد أقدم على اغتياله ﷺ مئات من المشركين الجاهلين عـارضوا رسـالته دون أن يفـكروا فيـما جـاء به، ودون أن يتعرفوا على ما جاء به مـن عدل وسماحة، وسنجد أن لكل

---

(١) «الإصابة» (جـ١، ص٢٠٤)، ترجمة رقم (٩٦١)، باب (٣١٠)، و«الاستيعاب» على هامش الإصابة.

محاولات اغتياله مآرب خبيثة، ولكن الله كان لرسوله خير حافظ، خير عاصم، وهو أرحم الراحمين.

وفي هذه القصة سنتحدث عن محاولة خبيثة ومؤامرة حاقدة كان هدفها النيل من حياة الرسول ﷺ، قام بها سيد من سادات العرب في الجاهلية وشيخ معروف من شيوخ قبيلة بني حنيفة، التي كانت تعيش في جنوب الجزيرة.

وكان هذا الرجل ملك من ملوك اليمامة حيث الخير الوفير في ربوعها من كثرة الماء والزرع، فكانت سلة طعام قريش، يستوردون منها الذرة والشعير ليصنعوا خبزهم، فمن استطاع الاستيلاء علي مملكة اليمامة في ذلك الوقت أصاب قريشًا بجوع شديد لاعتمادها على اليمامة في طعامها.

وثمامة بن آثال - شأنه كشأن الملوك والسادة الذين عاشوا عصر رسول الله ﷺ - استقبل دعوته المباركة بالتكذيب والإعراض، فهو لا يصدِّق، ولا يسمع، بل يعارض ما جاء به رسول الله ﷺ ويهاجم كل من يقول شيئًا عن محمد ﷺ، وقد أخذته العزة بالإثم، وشغله العناد والكفر،

فأصمَّ أذنيه عن صوت الحق القادم من مكة وأعمى عينيه حتى لا ترى نور الإسلام الساطع، وتحرك حقد دفين في نفسه لما كان يعيش فيه من جاهلية وضلال شأنه شأن أهل اليمامة في ذلك الوقت، وقد كانت اليمامة تعيش الكفر والضلال في ذلك الوقت ومنهم مسيلمة الكذاب.

مضى ثمامة بن آثال يبحث عن طريقة يستطيع من خلالها أن يغتال محمدًا ﷺ فيقتله ويقضي عليه كما ظنَّ، وبينما كان الناس من أمثال ثمامة بن آثال ملك اليمامة يبحثون عن طريق للقضاء على النبي ﷺ كان الرسول ﷺ يبعث بالرسل إلى الملوك والأمراء وشيوخ القبائل يحملون كتبَهُ لهم، فيستجيب الملوك والأمراء إلى هذه الرسائل المرسلة من النبي ﷺ، ومن سفراء الرسول ﷺ الذين أرسلهم للملوك الصحابي الجليل العلاء بن الحضرمي - رضوان الله عليه - والذي حمل رسالة إلى ملك البحرين «المنذر بن ساوي»، - وقد جاء في الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي، سلام عليك، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإني أذكرك الله عزَّ وجلَّ، فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبعني فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرًا، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»[1].

نجد الرسول ﷺ في هذه الرسالة يدعو ملك البحرين إلى عبادة الله وحده والدخول في الإسلام، ودعوة قومه لذلك، ويدعوه إلى التسامح مع الذنوب، لأن الإسلام دين التسامح وقبول التوبة ومن ظل على دينه الآخر غير الإسلام

(١) «السيرة الحلبية» (جـ٣، ص٧٠٠)، ط. دار المعرفة بيروت.

مـثل اليهـود والمشـركين فـعليهم الجـزية، وهي مـال يدفع للمسلمين كل عام.

وصل العـلاء بن الحضـرمي سفـير رسـول الله ﷺ وقدم الرسالة لملك البحرين المـنذر بن ساوي وجعل ينصحه ويقول: يا منذر إنَّك عظيم العقل في الدنيـا فلا تصغرن في الآخرة، إن هذه المجوسية - عـبادة النار - شر وإنهم يعبدون في الدنيا نارًا تأكلهم يوم القيامة، فقال المنذر ملك البحرين: «قد نظرت في هذا الدين الذي في يدي فـوجدته للدنيا دون الآخـرة، ونظرت في دينكم فـرأيته للآخـرة والدنيـا، فمـا يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت».

ولقد عـجبت أمس ممن يقـبله، وعجبـت اليوم ممن يرده ومعنى ذلك أنَّ المنذر بن ساوي ملكَ البحرين اقتنع بالإسلام وأحبه وأعجب به فأسلم المنذر وحَسُنَ إسلامه.

ثمامة بن آثال واعتراض طريق العلاء بن الحضرمي:

لما أسلم المنذر بن سـاوي ملك البحـرين عاد العـلاء بن الحضرمي سفير رسول الله ﷺ إلى المدينة ليبلغ رسول الله

بإسلامه، وفي الطريق مرَّ بأرض اليمامة، التي ظهر فيها مسيلمة الكذاب، فلقيه ثمامة بن آثال ملك اليمامة، وعمه عامر بن سلمة بن عبيد الحنفي اليماني، فقال ثمامة بن آثال للعلاء بن الحضرمي: أنت رسول محمد؟

فقال العلاء: نعم. أنا رسول محمد.

فقال ثمامة للعلاء مهددًا: لا تصل إليه أبدًا.. وتمنى الموت لرسول الله ﷺ، وأفصح عما في نواياه من حقد وكره للرسول ﷺ وللإسلام.

لذلك فقد نهره عمه عامر بن سلمة وعَنَّفَهُ قائلاً: مالك والرجل يا ثمامة، يقصد رسول الله ﷺ، فلمَّا بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: «**اللهم اهد عامرًا، وأمكني من ثمامة**»[1].

والرسول ﷺ، لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إلاَّ حقًا، فدعاؤه مستجاب من ربِّه فقد أسلم عامر فيما بعد.

---

(١) «الإصابة» (جـ١، ص٢٠٤).

أسير في سارية المسجد:

كان ثمامة بن آثال قد تلقى كتابًا من رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام مثله مثل الملوك والأمراء، ولكنه تلقي كتاب رسول الله ﷺ بالاعتراض والازدراء والسخرية، وركب شيطانه فأغراه بقتل الرسول ﷺ.

خرج ثمامة بن آثال من أرض اليمامة قاصدًا المدينة وفي نفسه هذه النية السيئة الدنيئة لقتل رسول الله ﷺ، وفي طريقه كان كُلَّما لقي صحابيًا من أصحاب رسول الله ﷺ قام بإيذائه والنيل منه، ولما كان دعاء النبي محمد ﷺ مستجابًا فقد شاءت إرادة الله أن تمكنه منه.

فقد خرج ثمامة بن آثال ذات يوم عازمًا الطواف حول الكعبة والذبح لأصنامها كعادتهم في الجاهلية، فقد كانوا يطوفون حول الكعبة ويذبحون للأصنام التي كانوا يعبدونها.

وبينما كان ثمامة في بعض طريقه قريبًا من المدينة نزلت به دعوة محمد ﷺ، لم يكن يحسب لذلك حسابًا، فقد أضمر في نفسه باطلاً وكان أصحاب محمد ﷺ يخرجون

في سرايا حول المدينة يؤدبون الخارجين عن دعـوته السامية، والمحـاربين للإسـلام المعـادين له، ويدفـعـون الأذى عن صاحـبهم رسول الله ﷺ، ومن هذه السرايا سـرية كانت عائدة لتـوها من نجد بقيـادة البطل محـمد بن مسلمـة أحد رجال المسلمين الشـجعان، فـأسرت قوات السرية ثمـامة بن آثال، وأتت به إلى المدينة.

قـام الرجـال بربط ثمامـة بن آثال بسـارية من سـواري المسـجد فخـرج النبي ﷺ فـقال لأصحـابه: «**أتدرون من أخذتم؟**»[1]، فقـالوا: لا يا رسول الله، فـقال ﷺ: «**هذا ثمـامـة بن آثال الحنفي فأحسنوا أساره**»، ثم أقبل ﷺ على أهله في داره فأوصـاهم بطعام لثمامـة بن آثال، ثم أمر بناقته تحلب ويقدم لبنها إلى ثمامة.

وأقبل ﷺ قائلاً: «**ما عندك يا ثمامة؟**»، فقال ثمامة: عندي خير، إن تسأل مالاً تعطه، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن تُنعم تنعُم على شاكر.

---

(١) انظر «الاستيعاب» (جـ١، ص٢٠٥-٢٠٦).

لقد عرض ثمامة أن يدفع مالاً في سبيل إطلاق سراحه، ورجا رسول الله ﷺ ألا يقتله، وأن ينعم عليه حتى يقدم له الشكر.

فتركه رسول الله ﷺ وهو يوصي به أصحابه قائلاً: **«أحسنوا أساره»**، وتركه يومين يطعم ويشرب من لبن ناقته.

ثم جاءه مرة أخرى يقول: **«ما عندك يا ثمامة؟»**.

قال ثمامة: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت.

فتركه رسول الله ﷺ، حتى إذا كان اليوم التالي جاءه فقال: **«ما عندك يا ثمامة؟»**.

قال ثمامة: عندي ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال أعطيتك منه ما تشاء.

نظر رسول الله ﷺ إلى أصحابه وقالوا: **«أطلقوا ثمامة»**، ففكوا رباطه وأطلقوه.

عودة طاهرة مباركة:

غادر ثمامة بن آثال المدينة. بعد أن أطلق سراحه رسول الله ﷺ دون أن يؤذيه أو يأخذ منه مالاً رغم إساءته للإسلام وأهله، ومضى في طريقه حتى بلغ نخلاً قريبًا من المسجد، فاغتسل ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وشهد شهادة الحق، وقال على ملأ من الناس: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله».

ثم اتجه إلى رسول الله ﷺ وقال: يا محمد والله ما كان على الأرض أبغض إليَّ من وجهكَ فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه كلِّها إلي.

ثم أضاف قائلاً: والله ما كان دين أبغض إليَّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليَّ، وقد كنت آذيت وأصبت في أصحابك دمًا فما الذي تأمرني به؟

فقال رسول الله ﷺ: «**لا تثريب عليك يا ثمامة، فإن الإسلام يجب ما قبله**» أي أن الإسلام يعفو عما قبله.

فقال ثمامة: «يا رسول الله إن خيلك أخذتني وأنا أُريد العمرة، فمر من يسيِّرني إلى الطريق»[1].

فأمر ﷺ من يسيره الطريق، فخرج حتى إذا قدم مكة، فلمَّا سمع به المشركون جاؤوه فقالوا يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك.

قال: لا أدري ما تقولون إلاَّ أني أقسمت برب هذه الكعبة لا يصل إليكم من اليمامة شيء ممّا تنتفعون به حتى تتبعوا محمداً من آخركم (أي حتى آخركم).

وكانت اليمامة مملكة ثمامة بن آثال ـ كما ذكرنا سابقًا ـ تعد مصدر مؤونة لقريش بما فيها من قمح يعدون منه خبزهم وزرع ومصادر طعام، ثم اعتمر ثمامة بن آثال وطاف حول الكعبة مسلمًا، وسعى بين الصفا والمروة على مرأى ومشهد من قريش كلها كما أمره رسول الله ﷺ أن يعتمر ويذبح تقربًا لله لا تقربًا للأصنام.

---

(١) «الاستيعاب» (جـ١، ص٢٠٦).

وعاد إلى بلاده فأمر قومه بمنع المؤونة عن قريش، ففعلوا ومنعوا خيرات اليمامة من - قمح وزرع ومصادر طعام - عن قريش مما أصابها بالضرر والجوع، واعتبر ذلك حصارًا شديدًا واجهته قريش.

ويذكرنا هذا الموقف بما فعل الكفار بمحمد في مكة عندما كتبوا صحيفة مقاطعة محمد وبني هاشم وظلوا محاصرين في الشعاب عامين كاملين. فلما فشا الجوع بينهم، واشتد عليهم الكرب. لجأوا إلى محمد ﷺ ونسوا ما فعلوه به في الأيام الخوالي، وكتبوا إليه كتابًا يقولون فيه:

إن عهدنا بك إنَّك تصل الرحم وتحض على ذلك وها أنت قد قطعت أرحامنا، فقتلت الآباء بالسيف، وأمَتَّ الأبناء من الجوع، وإن ثمامة بن آثال قد قطع عنَّا «مؤونتنا» وأضرَّ بنا فإن رأيت أن تكتب إليه أن يبعث إلينا بما نحتاج ربما فعل».

وتتجلى رحمة هذا الرجل، رحمة محمد ﷺ فكما هو رؤوف بالمؤمنين رحيم بهم، فهو الرحمة المهداة من الله

سبحانه - عزّ وجلّ -، وهـو الذي يعلو بِخلقِهِ العظيم وبعفوه الكريم على نفوس الكفـار والمشركين المريضة، ويتـجاوز عن كل أفاعـيلهم البذيئة، فلم يعـد الموقف يحتمل تركـهم وقد جـاء أطفـالـهم، ولابد من درس من دروس هـذا الدين العظيم، وتعريفهم أن هذا الدين هو دين التسامح والرحمة، فأمر محمد ﷺ صـاحبه ثمامة بن آثال الذي أسلم وحسُنَ إسلامـه، أمره أن يرسل لهم مـؤونتهم من القـمح والطعام، فأطاع ثمامة أمر رسول الله وعاش ثمامة وفيًا لمحمد ﷺ، حافظًا لدينه، مؤديًا لفرائضـه مجاهدًا في صفوف المسلمين، بعـد أن كان عـدوًا للإسـلام وللنبي ﷺ، وأراد أن يقـتل مـحمـدًا ﷺ، وظل ثمامـة على هذه الحـال حتى انتـقل الرسول ﷺ إلى الرفـيق الأعلى، وظهر مسـيلمة الكذاب يدَّعي أنه نبي بالكذب فاعـترض طريقه ثمامـة بن آثال وقال لقومه بني حنيفة: «إياكم وأمرًا مظلمًا لا نور فيه، وإنَّه لشقاء كتبه الله - عزَّ وجلَّ - على من أخذ به منكم، وبلاء على من لم يأخذ به منكم يا بني حنيفة»[1].

(١) «الاستيعاب» بهامش الإصابة (جـ١، ص٢٠٨).

ولكن بعض الناس من بني حنيفة في اليمامة استمعوا لمسيلمة الكذاب، وأغراهم بكذبه وكُفْرِه حتى أنه كان يهزو بكلام لا معنى له، ويقول كلامًا يدّعى بالكذب أنَّه قد أوحي به إليه، كما يوحى للنبي ﷺ ومن هذا الكلام قوله: «يا ضفدع نِقِّي ما تنقين، لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين».

فقال ثمامة: لا يجتمع نبيان في وقت واحد، وإن محمدًا لا نبي بعده، ولا نبي يُشرك معه، ثم قرأ عليهم: ﴿ حمٓ (١) تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٢) غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (سورة غافر: ١-٣).

هكذا كان يراد بالنبي ﷺ السوء فيعصمه ربه من كيد الكائدين ومؤامرات الحاقدين، والله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

